

2015

A historical Linguistic Attempt for Understanding the Variability of Manner ('Al-Hay'ah **الهيئة**) and Circumstance ('Al-Haal **الحوال**) In Arabic

Omar Okasha
Yarmouk University, Jordan, omar_okasha@hotmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujsr_b

Recommended Citation

Okasha, Omar (2015) "A historical Linguistic Attempt for Understanding the Variability of Manner ('Al-Hay'ah **الهيئة**) and Circumstance ('Al-Haal **الحوال**) In Arabic," *An-Najah University Journal for Research - B (Humanities)*: Vol. 29 : Iss. 8 , Article 1.

Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujsr_b/vol29/iss8/1

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in An-Najah University Journal for Research - B (Humanities) by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, dr_ahmad@aarj.edu.jo.

محاولة لفهم التعدد في صور "الهيئة" و"الحال" في اللغة العربية - دراسة لغوية تاريخية
A historical Linguistic Attempt for Understanding the Variability of
Manner ('Al-Hay'ah الهيئة) and Circumstance ('Al-Haal الحال) In
Arabic

عمر عكاشة

Omar Okasha

مركز اللغات وقسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

بريد الكتروني: omar_okasha@hotmail.com

تاريخ التسليم: (2014/4/21)، تاريخ القبول: (2014/11/19)

مُلخَص

يَقَعُ هذا البَحْثُ مِنْ نَحْوِ العَرَبِيَّةِ فِي مَنطِقَةِ شَدِيدَةِ العُمُوضِ وَالتَّعَقُّدِ، حَيْثُ يُحَاوَلُ فِيهِ صَاحِبُهُ أَنْ يَتَلَمَّسَ إجاباتٍ لِأَسْئَلَةٍ مُتَكَاثِرَةٍ لَا يَبْتَوَسَّلُ إِلى طَرَجِها فِي العَادةِ إِلا نَفَرًا مِنَ المُسْتَعَلِينَ فِي مَيدانِ العَرَبِيَّةِ لِلناطِقِينَ بِعَبارِها دَرَسًا وَتَدْرِيسًا وَتَأَلِيفًا. تَدورُ الأَسْئَلَةُ المُقْصودَةُ أَساسًا حَولَ قَضايَا لُغَوِيَّةٍ تَرَكيبِيَّةٍ تَنبَدِي لَنا فِي نَحْوِ العَرَبِيَّةِ العَمَلِيِّ مِنْ خِلالِ سَيرُورَتِها الفِعلِيَّةِ عَلى الأَسْئَلَةِ وَالأَقلامِ، وَمَعَ ذلكَ فَهِيَ قَضايَا غائِبَةٌ عَنِّي كَاملَةٌ عَن التَّوصيفِ المَباشِرِ فِي نَحْوِ العَرَبِيَّةِ العِلْمِيِّ كَما يَمَثُلُ لَنا فِي كُتُبِ النَحْوِ وَاللُغَةِ. وَيَتَوَسَّلُ البَحْثُ بِالعُربِيَّةِ التَّرَكيبِيَّةِ وَاللُغَوِيَّةِ التَّاريخِيَّةِ، بَغِيَّةِ تَفسِيرِ تَسايرِ التَّراكيبِ المُفصَّحَةِ عَن الهَيئَةِ وَالحالِ فِي اللُغَةِ العَرَبِيَّةِ: فَلَمَّ نَجَدُ التَّراكيبَ الأَتِيَّةَ ذابَعَةَ الاستِعمالِ جَنبًا فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ: (فَتَحَ البابَ مُسْرِعًا)، وَ(فَتَحَ البابَ فَتَحًا سَريعًا)، وَ(فَتَحَ البابَ سَريعًا)، وَ(فَتَحَ البابَ بِسُرْعَةٍ)، وَ(فَتَحَ البابَ بِشَكلِ سَريعٍ)؟ وَمَا الحَاجاتُ التَّرَكيبِيَّةُ المُخْصوصَةُ الَّتِي أَفضَتِ إِلى تَوَلِيدِ كُلِّ هَيئَةٍ مِنْ تِلْكَ الهَيئاتِ سَواءَ كَانَتْ هَيئَةً اسْمِيَّةً أَوْ فِعلِيَّةً؟

الكلمات المفتاحية: الحال، تراكيب الحال، الهيئة، تطور التراكيب، تطور تراكيب الحال، المفعول المطلق، المفعول المطلق الموصوف، إحلال صفة المفعول المطلق محله).

Abstract

The study addresses one of the complex topics in Arabic Grammar as the researcher attempted in this study to answer several questions only addressed by a small number of scholars working in the field of teaching Arabic as a foreign language. This issue is mainly concerned with some

structural linguistic problems in practical Arabic as used both on the theoretical and practical levels. Despite their significance, these issues are still absent from scholars' interests in practical Arabic field as seen in language and grammar textbooks. The main object of this study is to use the structural linguistics and historical linguistics to explain the conformity between the structures referring to Manner (الهيئة) and Circumstance (الحال) in Arabic. Why do we find the following structures being used hand by hand in Arabic: (فَتَحَ الْبَابَ سَرِيعًا), (فَتَحَ الْبَابَ مُسْرِعًا), (فَتَحَ الْبَابَ بِسُرْعَةٍ), and (فَتَحَ الْبَابَ بِسُرْعَةٍ)? Another question we are trying to answer is: what are the specified structural needs that led to the generation of each of those manners (هَيْئَاتٍ) whether it was nominal or verbal?

Key words: 'Al-Haal, Circumstantial Structures in Arabic, Developing of Structures in Arabic, Developing of Circumstantial Structures in Arabic, Unrestricted Object.

تأسيس

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ التَّرَاكيبِ الَّتِي تَرَفُّضُهَا الْعَرَبِيَّةُ، مِمَّا صَمَّمَهَا الْبَحْثُ فِي تَنَائِيهِ، فَمَّا بَاخْتَرِاحِهَا مُتَعَلِّمُو الْعَرَبِيَّةِ النَّاطِقُونَ بِغَيْرِهَا، وَهِيَ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي لَا يَجْتَرِحُهَا إِطْلَاقًا مُتَعَلِّمُوهَا النَّاطِقُونَ بِهَا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ. هِيَ بِكُلِّ أَطْمِنَانٍ - حِكْرٌ عَلَى طَائِفَةٍ مُتَعَلِّمِي الْعَرَبِيَّةِ النَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا دُونَ غَيْرِهَا. وَأَكْثَرُ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلَّ نَاطِقٍ بِالْعَرَبِيَّةِ أَكْمَلَ بِنَجَاحٍ مَرِحَلَةَ الْاِكْتِسَابِهَا، يَسْتَطِيعُ بِفَرْطٍ سَهْوَلَةٍ - أَنْ يُوجِّهَ مُتَعَلِّمَ الْعَرَبِيَّةِ النَّاطِقَ بِغَيْرِهَا حِيَالَ خَطِيئِهِ، فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ وَجْهَ الصَّوَابِ فِي مَا اخْتَرَحَ مِنْ خَطَا. وَمِمَّا لَا يَنْقُضِي مِنْهُ الْعَجَبُ أَنَّنَا لَا نَجِدُ إِلَى الْآنِ مَرْجِعًا وَعَبَا يُمَكِّنُ أَنْ يَهْتَدِيَ بِهِ وَيَسْتَرْشِدَ مُعَلِّمُو الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا وَهُمْ يَتَعَامَلُونَ مَعَ أَخْطَاءِ أَوْلَادِكِ النَّفَرِ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ بَغِيَّةِ التَّوَصِيفِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّصْحِيحِ.

لَكِنَّ مُتَعَلِّمَ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ النَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا كَمَا أَلْفَيْتُهُ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ، لَا يَقْنَعُ مِنَ الْأَمْرِ بِمَا قِيلَ لَهُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي صَوَّابُهُ كَذَا، بَلْ يَذْهَبُ إِلَى أَيْدِي أَيْدِيكَمْ لِيَسْأَلَ عَنْ وَجْهِ الْخَطَا فِي مَا أَنْتَجَهُ: "لِمَاذَا هُوَ خَطَا؟" "لِمَاذَا يُعَدُّ خَطَا؟" وَهَذَا تَنْتَابُ الْمُعَلِّمِ الْبَيْقُطِ الْحَيْرَةِ، وَتَأْسِرُهُ الدَّهْشَةُ، لِيَتَسَاءَلَ الْمُعَلِّمَ عَمَّا كَانَ عَنْهُ الْمُتَعَلِّمُ سَأَلَ: "وَاللَّهِ صَحِيحٌ: لِمَ تَقُولُ الْعَرَبِيَّةُ كَذَا، وَلَا تَقُولُ كَذَا؟ لِمَ تَرَفُّضُ اللَّغَةَ الْقَوْلَ كَذَا، بَيْنَمَا نَرَاهَا تَسْتَجِبُ كَذَا؟!" ثُمَّ يَنْطَلِقُ الْمُعَلِّمُ النَّايِبُ الْمُسْكِينُ فِي رِحْلَةِ التَّنَسُّلِ تِلْكَ لِجَلِّي بَعْضًا مِنْ جَنَابَاتِهَا، فَيَبْحَثُ فِي بَطُونِ كُتُبِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ فَلَا يَكَادُ يَعُودُ بِشَيْءٍ ذِي بَالٍ، بَلْ لَا يَعُودُ بِشَيْءٍ فِي مُعْظَمِ الْأَحْوَالِ، لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ الْمُبْحُوثةَ بِبَسَاطَةٍ شَدِيدَةٍ - هِيَ

مِنَ النَّحْوِ الْعَمَلِيِّ الْغَائِبِ عَنِ النَّحْوِ الْعِلْمِيِّ⁽¹⁾. وَتَتَسَعُ شَفَةُ الدَّهْشَةِ وَهُوَ الخَيْرَةُ حِينَما يَعْلمُ-في حُدُودِ الْمُتَوَصَّلِ إِلَيْهِ- أَنْ لا أَحَدٌ قَدْ سَأَلَ مَسْأَلَتَهُ، أَوْ التَّفَتَّ النَّفَاتَتَهُ! وَلَنْ تَكُونَ مُحْصَلَةُ الأَمْرِ بَعْدَ ذَلِكَ الأَبْحَثُ وَكُلُّ ذَلِكَ التَّطَوُّفِ فِي أَحْسَنِ الأَحْوالِ- سِوَى اجْتِهَادِ شَخْصِيٍّ مِنْ ذَلِكَ المُعَلِّمِ الفُطِنِ، فِيهِ يُصِيبُ أَوْ يَخِيبُ.

وَلا تَنْفَكُ أَسْئَلُهُ هَذَا النَّقْرَ مِنَ المُتَعَلِّمِينَ تُواجِهُهُ مُعَلِّمُ العَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِها وَتُرَاوِدُهُ، عَن ظَوَاهِرِ نَحْوِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ فِي العَرَبِيَّةِ، لا تَتَوَقَّفُ نَحْنُ فِي العَادَةِ عِنْدَها بِالوَصْفِ المُبَاشِرِ، وَهِيَ أَسْئَلُهُ يَسْأَلُونَهَا بِتَوْجِيهِهِ مِنْ لَعْنَتِهِمُ الأُولَى-في بَعْضِ الأَحْيانِ عَلى الأَقَلِّ-. وَمَعَ أَنَّها أَسْئَلُهُ تُثِيرُ وَعَيْنًا عَلى لُغَتِنَا، وَتُثِيرُ الوُوعِيَّ عَلى مَنَاطِقٍ مِنَ النَّحْوِ غَيْرِ مُضَاءَةٍ لَنَا، فَإِنَّها-في الوَقْتِ نَفْسِها- أَسْئَلُهُ يُضِيقُ بِها-لِأَسْفِ الشَّدِيدِ- صَدْرُ مَنْ ارْتَضَى بِتَعْلِيمِ العَرَبِيَّةِ تَقْلِيدِيًّا، فَنَراهُ-بَعْدُ- يَفْرَضُ عَلى مُتَعَلِّمِي العَرَبِيَّةِ مِنَ النَّاطِقِينَ بِغَيْرِها قِوَاعِدَها وَفَقَّ ما اسْتَقَرَّتْ عَليهِ لَدَى النَّاطِقِينَ بِها! وَالْبَحْثُ الأَحْاليُّ آتٍ فِي هَذَا الإِطارِ الشَّائِكِ الشَّائِقِ، يُحاوِلُ فِيهِ صَاحِبُهُ تَفْعِيدًا لِجانِبِ بَدَأَ لَهُ غَيْرَ مُقَعَّدٍ مِنْ نَحْوِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ.

وَقد كَانَ المُحَرِّكُ إِلى بَحْثِي هَذَا فِي الأَساسِ، لَحْنًا اجْتَرَحَهُ أَحَدُ طُلابِي مِنَ النَّاطِقِينَ بِغَيْرِ العَرَبِيَّةِ. فَقَدْ كَتَبَ لي ذَلِكَ الطَّالِبُ، فِي أَحَدِ أَيَّامِ الفَصْلِ الأَوَّلِ مِنَ العَامِ الجامِعِيِّ 2012/2013م، التَّرْكِيبَ: (*كَتَبَ فِلاحُ الدَّرْسِ بِجَمال!) وَقد جَاءَ إِنتاجُهُ هَذَا الخَطَأَ فِي سِياقِ تَعْلِيمِي إِياهُمُ تَرَكيبِ الحَاليِ المُتَنَوِّعَةِ، وَكَمْ تَمَلَّكَتِ المَرَّةَ الدَّهْشَةَ وَعَلَنَةُ الخَيْرَةِ وَالاضْطِرَابَ وَهُوَ بِإِزاءِ هَذَا اللَّحْنِ يَتَأَمَّلُهُ مُحاولًا فَضْ مِغْلَاقِهِ فِي نَحْوِ مِنْ سَنَةٍ وَنِصْفٍ! وَمَعَ أَنَّني كُنْتُ أَعْرِفُ طَبْعًا- وَجَهَ الصَّوابِ لِمَا أَنْتَجَ الطَّالِبُ مِنْ خَطَأٍ، وَكُلُّ النَّاطِقِينَ بِالعَرَبِيَّةِ قَادِرُونَ مِثْلِي-بِطَبِيعَةِ الحَاليِ- عَلى تَصْحيحِ هَذَا الخَطَأِ، فَإِنِّي لَمْ أَهْتَدِ لِحُظَّتِنِ إِلى مَعْرِفَةِ وَجَهِ الخَطَأِ فِي ما اجْتَرَحَ! كَيْفَ نُوصَفُ خَطَأَ الطَّالِبِ ذاك؟ أَيُّ يَكْمُنُ الخَطَأُ تَعْيِينًا؟ لِمَذا هُوَ-بِاخْتِصارِ- خَطَأٌ؟ وَقَوْلُ الطَّالِبِ: (*كَتَبَ فِلاحُ الدَّرْسِ بِجَمال!)، لا جَرَمَ مِمَّا تَرَفُّضُهُ سَلائِقُ النَّاطِقِينَ بِالعَرَبِيَّةِ اليَوْمَ وَكُلُّ يَوْمٍ، وَهُوَ مُتَجاوزٌ بِالقَوْلِ-مِثْلَيْنِ-: (كَتَبَ فِلاحُ الدَّرْسِ بِشَكْلِ جَميلٍ/بِطَرِيقَةٍ جَميلَةٍ).

وَقد أدَّت-في المُحْصَلَةِ- كَثْرَةُ التَّأَمُّلِ فِي الخَطَأِ المُجْتَرَحِ: (*كَتَبَ فِلاحُ الدَّرْسِ بِجَمال!)، إِلى أَنْ نَسَّالَ: هَلْ ثَمَّةُ فَرْقٍ بَيْنَ قَوْلَيْنَا: (رَكِبْتُ السَّيَّارَةَ مُسْرِعًا) وَ(رَكِبْتُ السَّيَّارَةَ بِسُرْعَةٍ)؟ لَمْ أُوَجِدْتُ اللُّغَةَ كُلاً مِنَ التَّرْكِيبَيْنِ الأَخِيرَيْنِ؟ أَقولُ: إِنَّ التَّفْسِيرَ اللُّغَوِيَّ التَّارِيخِيَّ لِوُجُودِ تَرَكيبِ الهَيْئَةِ مُتَسايرَةً جَنبًا فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَهُوَ التَّفْسِيرُ الَّذِي نَدْعُو إِلَيْهِ فِي هَذَا البَحْثِ، يَقُوى عَلى الإِجابَةِ عَن تِلْكَمُ الأَسْئَلَةِ وَأَسْئَلَةُ أُخْرَى مِنْ قَبيلِ: لِمَ وَجَدْنَا فِي العَرَبِيَّةِ التَّرْكيبِ الأَيْتِيَّةَ سائِرَةً فِي الأَسْتِعْمالِ فِي الآنِ نَفْسِها: (فَتَحَ مُرادُ البَابِ مُسْرِعًا)، وَ(فَتَحَ مُرادُ البَابِ فَتَحًا سَريعًا)، وَ(فَتَحَ مُرادُ البَابِ سَريعًا) وَ(فَتَحَ مُرادُ البَابِ بِسُرْعَةٍ)، وَ(فَتَحَ مُرادُ البَابِ بِشَكْلِ سَريع)؟ لِمَ تَجاوزَتْ اللُّغَةُ الهَيْئَةِ الأَسْمِيَّةَ (أَو الحَاليِ) فَخَلَقَتْ الهَيْئَةَ الفُعْلِيَّةَ؟ ما الأَحْاجاتُ التَّرْكيبيَّةُ المُخْصوصَةُ الَّتِي أَمَلْتُ عَلى العَرَبِيَّةِ إِيجادَ الهَيْئَةِ الفُعْلِيَّةِ بَعْدَ أَنْ أُوَجِدْتُ الهَيْئَةَ الأَسْمِيَّةَ؟ نَمَّ إِذا كَانَتْ الحَاليِ (أَو

(1) أنظر في الفرق بين "النحو العملي" و"النحو العلمي" وفكرة "النحو الغائب": عكاشة، عمر يوسف: النحو الغائب: دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها، ص 102-115.

الهيئة الاسميّة) في (فتح مراد الباب مسرعاً)، تُؤدّي في المحصّلة- ما تُؤدّي الهيئة الفعلية في كل من: (فتح مراد الباب فتحاً سريعاً) و(فتح مراد الباب بسرّعة)، ولا فرق دلالياً بينها، فما الذي ألجأ اللغة إلى إيجاد الهيئة الفعلية أو إيجاد (ب+مصدر) للتعبير عن الهيئة؟!

بعبارة ثانية: إذا كانت الهيئة الاسميّة "الحال" تفي بالعرض وتنهض بالمفصود، فلم استحدثت العربية الهينات الفعلية، كمركب المفعول المطلق الموصوف؟! بل إن الرأي المتبني في البحث قادر على تقديم رؤية تحليلية محدّدة لتعدد الهينات الفعلية واختلافها في العربية، هو قادر على الإجابة عما يأتي: إذا كانت اللغة قد أوجدت مركب المفعول المطلق الموصوف في إحدى مراحل تعاقبها الزمني، فلم تجاوزته، في مرحلة زمنية تالية، إلى الصفة النائية مناب المفعول المطلق؟ ولم تجاوزت ما سبق كنهه، في مرحلة رابعة، إلى المركب الجزئي: (ب+مصدر)؟ ولم تجاوزت هذا الأخير إلى (بشكّل+صفة)؟ أقول: لم كان من اللغة ذلك مع أن هذه المركبات جميعها تتسلط على الأحداث أو الأفعال فتصفها ولا شيء آخر؟! لم لم تكف بواحد من تلك التركيبات؟ إن أقصى ما أطمح إليه في هذا البحث، أن ألفت أنظار المشتغلين باللسانيات التاريخية، واللسانيات التركيبية، واللسانيات التعليمية، لتلك المشكلات وغيرها مما كان بها متصلاً.

نظرة لغوية تاريخية لتعدد صور "الهيئة" و"الحال" في اللغة العربية

الدعوة إلى مصطلحين

أرى في البدء ضرورة أن يُفرّق بين "الحال" و"الهيئة" اعتماداً على مرجوع كل أو متعلّقه. فالعناصر اللغوية، أو الكلمات المنصوبة التي تقوم بإبراز هيئة الأسماء إبرازاً مؤقتاً، هي "الأحوال". أما "الهيئات"، فهي العناصر التي تتسلط على الأفعال أو الأحداث لتبين كيفية وقوعها. ومن أجل هذا، أعد (مهتمًا، منفعلة، حذرة، مفتخرًا)-في (أ) من الجمل التالية- أحوالاً، فيما أعد (باهتمام، بانفعال، بحذر، بافتخار)-في الجمل (ب) التالية- هيئات. تأمل الجمل الآتية:

(1) أ. طالع زياد الخبر مهتمًا.

ب. طالع زياد الخبر باهتمام.

(2) أ. أغلقت مريم باب السيارة منفعلة.

ب. أغلقت مريم باب السيارة بانفعال.

(3) أ. عبرت سلمى الشارع حذرة.

ب. عبرت سلمى الشارع بحذر.

(4) أ. تكلم الرجل عن ابنته مفتخرًا.

ب. تَكَلَّمَ الرَّجُلُ عَنِ ابْنَتِهِ بِإِفْتِخَارٍ.

وَمِنْ أَدِلَّةِ هَذَا الْمَبْزُورِ بَيْنَ "الْهَيْئَةِ" وَ"الْحَالِ"، أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ فِي الْجُمْلِ (أ)، أَنْ تُنْشِئَ مِنْ صَاحِبِ الْحَالِ وَالْحَالِ نَفْسَهَا عِلَاقَةً إِسْنَادِيًّا تَامًّا (إِسْنَادِيًّا أَصْلِيًّا مَقْصُودًا لِذَاتِهِ)⁽¹⁾، فَتَقُولُ:

(1) أ. طَالَعَ زِيَادُ الْخَبَرَ مُهْتَمًّا. - < زِيَادٌ مُهْتَمٌّ.

(2) أ. أَغْلَقْتُ مَرِيْمُ بَابَ السَّيَّارَةِ مُنْفَعِلَةً. - < مَرِيْمٌ مُنْفَعِلَةٌ.

(3) أ. عَبَّرْتُ سَلْمَى الشَّارِعَ حَذْرَةً. - < سَلْمَى حَذْرَةً.

(4) أ. تَكَلَّمَ الرَّجُلُ عَنِ ابْنَتِهِ مُفْتَخِرًا. - < الرَّجُلُ مُفْتَخِرٌ.

وَلَا تَسْتَطِيعُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ فِي الْجُمْلِ (ب):

(1) ب. طَالَعَ زِيَادُ الْخَبَرَ بِإِهْتِمَامٍ. - < *زِيَادٌ بِإِهْتِمَامٍ.

(2) ب. أَغْلَقْتُ مَرِيْمُ بَابَ السَّيَّارَةِ بِأَنْفِعَالٍ. - < *مَرِيْمٌ بِأَنْفِعَالٍ.

(3) ب. عَبَّرْتُ سَلْمَى الشَّارِعَ بِحَذْرٍ. - < *سَلْمَى بِحَذْرٍ.

(4) ب. تَكَلَّمَ الرَّجُلُ عَنِ ابْنَتِهِ بِإِفْتِخَارٍ. - < *الرَّجُلُ بِإِفْتِخَارٍ.

وَفِي الْمُقَابِلِ، تَسْتَغْلِي صِحَّةَ كَوْنِ الْمُرَكَّبِ (ب+مَصْدَر) مُبَيَّنًا لِهَيْئَةِ الْفِعْلِ (أَوْ الْحَدَثِ)⁽²⁾ فِي الْعَرَبِيَّةِ، أَنَّ بِالْمُكْنَةِ عَقْدَ عِلَاقَةٍ إِسْنَادِيَّةٍ بَيْنَ الْحَدَثِ الْمُسْتَفَادِ مِنَ الْفِعْلِ، وَالْحَدَثِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْمَصْدَرِ الْمُتَّصِلِ بِالْبَاءِ فِي الْجُمْلِ (1ب، 2ب، 3ب، 4ب). وَتَطْبِيقًا لِهَذَا الرَّائِزِ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ:

(1) ب. طَالَعَ زِيَادُ الْخَبَرَ بِإِهْتِمَامٍ. - < الْمَطَالَعَةُ فِيهَا إِهْتِمَامٌ⁽³⁾.

(2) ب. أَغْلَقْتُ مَرِيْمُ بَابَ السَّيَّارَةِ بِأَنْفِعَالٍ. - < الْإِعْلَاقُ فِيهِ أَنْفِعَالٍ.

(3) ب. عَبَّرْتُ سَلْمَى الشَّارِعَ بِحَذْرٍ. - < الْعُبُورُ فِيهِ حَذْرٌ.

(4) ب. تَكَلَّمَ الرَّجُلُ عَنِ ابْنَتِهِ بِإِفْتِخَارٍ. - < التَّكَلُّمُ فِيهِ إِفْتِخَارٌ.

وَقَدْ يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ هَذَا الْفَرْقَ التَّرْكِيبِيَّ الْمُنَادِي بِهِ بَيْنَ "الْهَيْئَةِ" وَ"الْحَالِ"، تَنْبِيءٌ عَلَيْهِ ضَرُورَةُ التَّفْرِيقِ الدَّلَالِيِّ بَيْنَ (مُهْتَمًّا) وَ(بِإِهْتِمَامٍ)، وَ(مُنْفَعِلَةً) وَ(بِأَنْفِعَالٍ)، وَ(حَذْرَةً) وَ(بِحَذْرٍ)، وَ(مُفْتَخِرًا) وَ(بِإِفْتِخَارٍ). وَالْحَقُّ أَنَّ مَهْمَا حَاوَلْنَا تَكْلُفَ مَسَقَّةِ إِقَامَةِ الْفَرْقِ الدَّلَالِيِّ بَيْنَ (مُهْتَمًّا)

(1) أَنْظُرْ فِي نَوْعِي الْإِسْنَادِ: عَكَّاشَةُ، عُمَرُ يُوْسُفُ: النُّحُو الْغَائِبَةُ: دَعْوَةٌ إِلَى تَوْصِيفِ جَدِيدِ لِنَحْوِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي

مَقْتَضَى تَعْلِيمِهَا لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا، ص 145-146.

(2) لَا أَمَلُ تَكَرَّارِ الْقَوْلِ: "الْفِعْلُ أَوْ الْحَدَثُ"، ذَلِكَ أَنَّ مَا يُفْصَحُ عَنْ هَيْئَتِهِ قَدْ يَكُونُ أحيانًا مَصْدَرًا لَا فِعْلًا: (عَلِمْتُ ضَرْبَكَ إِتَاهَ بَشِدَّةٍ)، فَالْهَيْئَةُ هُنَا (بَشِدَّةٌ) تُبَيِّنُ الْحَدَثَ الْمَفْهُومَ مِنَ الْمَصْدَرِ.

(3) أَوْ: (الْمَطَالَعَةُ تُنْطَوِي عَلَى الْإِهْتِمَامِ)، أَوْ: (الْمَطَالَعَةُ تُشْتَمِلُ عَلَى الْإِهْتِمَامِ)، أَوْ: (الْمَطَالَعَةُ تُتَّصِفُ بِالْإِهْتِمَامِ)،

...

و(باهتمام) -وأمثالهما-، فإن الأمر من ناحية أولى- لئن يطرد لنا، وهو من ناحية ثانية- فرق ينطوي على كثير أو قليل من التكلف والعراية الواضحين. أريد أن أنتهي إلى القول: إننا إذا قلنا: (انطلقت السيارة بسرعة) -مثلاً-، فإن المعنى المستنتج بدهياً هو أن الانطلاق-الذي كان من السيارة- كان سريعاً، وأن السيارة-التي كان منها الانطلاق- كانت من ثم سريعة، لأن الانطلاق السريع إذا كان قد صدر من السيارة، فمن الطبيعي أن تكون السيارة سريعة في وقت الانطلاق السريع-على الأقل-، فكان أن قيل كذلك: (انطلقت السيارة مسرعة). وكذا في: (يدرس فلاح باجتهاد) و(يدرس فلاح الدرس مجتهداً)، فالمعنى-في الموصولة- هو أن الدراسة تمت باجتهاد، وأن فلاحاً كان-أن صدور الاجتهاد منه على الأقل- مجتهداً، لأن الدراسة التي وقعت باجتهاد، وقعت من مجتهد بالضرورة، وهو فلاح... وهكذا.

ومن أجل هذا وغيره مما سبلي في قابل الصفحات، حاولت أن أردد ظهور تراكيب الهيئة في اللغة لا إلى فرق دلالي، بل إلى أسباب أخرى استعرضتها في موطنها من هذا البحث، مستنجداً بالله وحده، مستقوياً به ربي ومولاي. فلقد اتكأت على النظر اللغوي التاريخي، واستندت إلى القول بتطور التراكيب وفقاً للحاجات الاستعمالية التعبيرية المخصوصة، بغية تفسير تسائر تراكيب الهيئة جنباً في اللغة العربية. وقد أفضت الدراسة التطورية إلى القول بوجود خمس مراحل لغوية تطورية لتراكيب الهيئة في اللغة العربية:

المرحلتان اللغويتان الأولى والثانية:

"الحال" سابقة "الهيئة"، ومركب المفعول المطلق الموصوف أول الهيئات الفعلية

كثيراً ما يهيباً للمرء أن ظهور وظيفة "الحال" سابق ظهور وظيفة "المفعول المطلق" في اللغة من الوجهة التاريخية، وذلك لسبب بسيط للغاية مستنبط من حاجة الإنسان المعيشية الماثلة أمامنا في كل وقت وحين. ذلك أن الحال ببساطة شديدة- وصفت للذوات: تخدم هيئة الاسم، أو تصف هيئة الذات، بينما يخدم المفعول المطلق الفعل أو يصف الحدث. قال محمد الأنطاكي: "إن بيئت بالمنصوب هيئة الفعل، فأنت بذلك تخدم الفعل لا الاسم، ومنصوبك إذن مفعول مطلق. وإن بيئت بالمنصوب هيئة الاسم، فأنت بذلك تخدم الاسم لا الفعل، ومنصوبك إذن حال"⁽¹⁾. فإبني لأحسب أن التعبير عن الهيئة الاسمية (الحال) سابق، في الظهور اللغوي أو النشور اللغوي التاريخي، التعبير عن الهيئة الحدئية أو الفعلية في اللغة العربية، لأن الحال تصف هيئة الذوات في لحظة من اللحظات، لكن المفعول المطلق يصف ما يصدر عن الذوات من أحداث. ولا شك في أن وصف الذوات والأشياء من أول ما تفتق عنه ذهن الإنسان، فحاجة الإنسان للتعبير عن هيئة نفسه ينبغي أن تكون سابقة حاجته للتعبير عن هيئة ما قد يصدر عنه من أفعال (أو أحداث).

وينبغي على ذلك أن يقال: إنه مرت على العربية مرحلة لغوية أولى، كان وصف الهيئة فيها مقتصرًا على الأسماء دون الأفعال. هذا يعني أن العربية كانت تكثفي، في المرحلة الأقدم،

(1) الأنطاكي، محمد: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرّفها، 157/2.

بالتعبير عن الهيئة الاسمية (الحال)، ولم تكن الحاجة قد ظهرت بعد للتعبير عن هيئة الفعل أو الحدث (المفعول المطلق). ثم ظهرت تالياً الحاجة، في المرحلة الثانية، لأن توجد اللغة هيئة متعلقة بالحدث تصفه أو تفسح عن طريقه وقوعه أو كيفية حدوثه، وذلك ابتداءً عن طريق "مركب المفعول المطلق الموصوف". وإذا كانت الحال طبقاً لهذا الزعم- أول هيئة ظهرت في اللغة، وهي هيئة اسمية، فإني أذهب إلى أن مركب المفعول المطلق الموصوف كان ثاني الهياكل اللغوية الظاهرة، وهو في الآن نفسه- أول وسيلة لغوية توصلت بها العربية بغير الإفصاح عن هيئة الأفعال أو الأحداث.

نستشعر عالياً أن الهيئة الاسمية أو الحال في: (فتح مراد الباب مسرعاً)، تؤدي في المحصلة- ما تؤديه الهيئة الفعلية في: (فتح مراد الباب فتحاً سريعاً)، ولا فرق دلالياً مأموح بينهما، فما الذي ألجأ اللغة إذن، إلى إيجاد الهيئة الفعلية للتعبير عن الهيئة؟! لم لم يكتف بأحال؟! بعبارة ثانية: إذا كانت الهيئة الاسمية "الحال" تفي بالعرض وتنهض بالمقصود، فلم استحدثت العربية الهياكل الفعلية كمركب المفعول المطلق الموصوف-مثلاً؟! إذا كنا لا نستشعر أدنى فرق بين الهيئة الاسمية أو الحال، والهيئة الفعلية، فلم وجدنا في العربية التركيبين الاتيين متسايرين جنباً: (فتح مراد الباب مسرعاً)، و(فتح مراد الباب فتحاً سريعاً)؟ لم تجاوزت اللغة الهيئة الاسمية فخلقت الهيئة الفعلية؟ ما الحاجات التركيبية المخصوصة التي أمّلت على العربية إيجاد الهيئة الفعلية بعد أن وجدت الهيئة الاسمية؟

البناء للمفعول أخذ أسباب تخليق الهيئة الفعلية

لعل البناء للمفعول هو من جملة الأسباب التركيبية المخصوصة التي أفضت بالعربية إلى توليد الهياكل الواصفة للأحداث أو الأفعال، وعدم الاكتفاء بالحال معبراً وحيداً عن الهيئة فيها. فإن الملحوظ أن العربية، عند بناء جملة مشتتملة على الحال (مسرّعاً) للمفعول (أو بناها للمجهول)، ترفض الإبقاء على الحال (مسرّعاً). الحظ ما يأتي:

فتح مراد الباب مسرعاً. - < *فتح الباب مسرعاً.

وهذا يدل بكل بساطة- على أن الحال (مسرّعاً) إنما ترتبط مباشرة وبقوة بالفاعل، ولذلك فإن حذف الفاعل (مراد) يستوجب منا حذف حاله أيضاً:

فتح مراد الباب مسرعاً. - < فتح الباب.

ولعل الحاجة للتعبير عن السرعة-مثلاً- حين البناء للمفعول، كان سبباً في استحداث هيئة جديدة تتجاوز الهيئة الاسمية أو الذاتية (الحال)، إلى هيئة أخرى حديثة، كمركب المفعول المطلق الموصوف. وأجل هذا خلنا اللغة نسمح بالإبقاء على (فتحاً سريعاً)-أو غيرها من الهياكل الحديثة مما سيشمله الحديث لاحقاً- حين البناء للمفعول:

فتح مراد الباب فتحاً سريعاً. - < فتح الباب فتحاً سريعاً.

وَمَا صَحَّ الْإِنْبَاءُ عَلَى (فَتْحًا سَرِيعًا) حِينَ الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ إِلَّا لِأَنَّ مُتَعَلِّقَهَا مُتَبَقِي عَلَيْهِ بَعْدَ التَّحْوِيلِ، وَهُوَ الْفِعْلُ (فَتْحًا). وَأَجَلَ هَذَا، يُعَدُّ الْإِنْبَاءُ عَلَى (فَتْحًا سَرِيعًا) بَعْدَ حَذْفِ الْفَاعِلِ دَلِيلًا قَوِيًّا جَدِيدًا عَلَى تَعَلُّقِ (فَتْحًا سَرِيعًا) بِالْفِعْلِ، فِيمَا يُعَدُّ حَذْفُ (مُسْرَعًا) دَلِيلًا عَلَى تَعَلُّقِ (مُسْرَعًا) بِالْفَاعِلِ الْمَحذُوفِ: يَبْقَى لِبَقَائِهِ، وَيُحَذَفُ لِحَذْفِهِ. وَهَذَا يَعْنِي سَبْطِيَّةً أُخْرَى. أَنَّ حَذْفَ الْفَاعِلِ الَّذِي هُوَ (مُرَادٌ)، هُوَ الْمُنْتَسِبُ فِي مَنْعِ إِبْرَادِ (مُسْرَعًا) فِي التَّرْكِيْبِ: (فَتْحُ الْبَابِ)، أَوْ أَنَّ الْحَالِ (مُسْرَعًا) تُذَكَّرُ حِينَئِذٍ يُذَكَّرُ الْفَاعِلُ. إِذَنْ، فَتَمَّةٌ عَلاَقَةٌ بَيْنَ إِبْرَادِ الْفَاعِلِ وَإِبْرَادِ (مُسْرَعًا).

"وَفَوْعُ الْفِعْلِ مِنَ الْفَاعِلِ بِشَكْلِ غَيْرِ إِرَادِيٍّ" مِنْ أَسْبَابِ تَخْلِيْقِ الْهَيْئَةِ الْفِعْلِيَّةِ

إِذَا كَانَ مَسْمُوحًا الْقَوْلُ-عَلَى مَا بَيَّنَّا: (فَتْحُ مُرَادِ الْبَابِ مُسْرَعًا)، فَإِنَّ الشَّيْءَ نَفْسَهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَنَا فِي حَالٍ أُخْرَى مِنْ غَيْرِ الْحَالِ الْمُتَّحَدِّثِ عَنْهَا، حَالِ الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ (*فَتْحُ الْبَابِ مُسْرَعًا). إِذْ قَدْ تَرَفُّضُ الْعَرَبِيَّةِ إِبْرَادَ (مُسْرَعًا) فِي حَالِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ (أَوْ الْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ)، وَذَلِكَ فِي مَا رَصَدْتُ- فِي حَالِ كَوْنِ هَذَا الْفَاعِلِ ذَا طَبِيعَةٍ خَاصَّةٍ. وَإِذَا صَحَّ هَذَا، لَمْ يَكُنْ تَمَّ مَقَرٌّ مِنْ اسْتِحْدَاثِ آيَةِ لُغَوِيَّةٍ جَدِيدَةٍ غَيْرِ الْحَالِ. أَنْعِمِ النَّظْرَ فِي التَّرْكِيْبِ الْآتِي:

*دَمَّرَتِ السُّيُولُ مَنَازِلَ الْمَوَاطِنِينَ مُسْرَعَةً.

تَجِدُهُ مَلْحُونًا. وَلَعَلَّ مَرَدَّ اللَّحْنِ هُنَا إِلَى أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ تَشْتَرِطُ أَنْ تَصِفَ الْحَالُ (مُسْرَعَةً) مُسْنَدًا إِلَيْهِ مَوْجِدًا لِلْحَدِّثِ أَوْ مُحَدِّثًا لِلْمُسْنَدِ أَوْ الْفِعْلِ بِشَكْلِ إِرَادِيٍّ (+إِرَادَةٌ)، أَوْ كَانَ الْفِعْلُ تَصَرُّفًا لَهُ أَيْ وَاقِعًا مِنْهُ بِشَكْلِ إِرَادِيٍّ أَيْضًا (+إِرَادَةٌ). فَأَلْحِيَاءُ "الْمُرِيدُونَ" وَحَدِّثُهُمْ، أَوْ دَوُو الْإِرَادَةِ وَحَدِّثُهُمْ هُمْ مَنْ يَتَّصِفُونَ بِكُونِهِمْ "مُسْرَعِينَ". فَيَمْكِنُ لِلظَّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ أَوْ الْكَوَارِثِ (كَالْأَمْطَارِ وَالْأَعَاصِيرِ وَالْفَيْضَانَاتِ وَالسُّيُولِ وَالزَّلَازِلِ وَالرِّيَّاحِ وَالنَّبْرَانَ أَوْ الْحَرَائِقِ) أَنْ يَقَعَ مِنْهَا الْفِعْلُ بِسْرَعَةٍ لَا أَنْ تَكُونَ فِيهِ مُسْرَعَةً. وَأَحْسَبُ أَنَّ هَذَا الْمَوْطِنَ هُوَ مِنَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي اضْطَرَّتِ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى أَنْ تَسْنَدَ عِيَّ مُرَكَّبِ الْهَيْئَةِ (+مَصْدَرٍ)، فَتَقُولُ (بِسْرَعَةٍ) بَدَلًا مِنْ (مُسْرَعَةً):

دَمَّرَتِ السُّيُولُ مَنَازِلَ الْمَوَاطِنِينَ بِسْرَعَةٍ.

وَمِمَّا قَدْ يُصَدِّقُ هَذَا الرَّأْيَ أَنَّ التَّرْكِيْبَ (*سَقَطَ الطِّفْلُ مِنَ الشَّرْفَةِ مُسْرَعًا) خَاطِئٌ لِكَوْنِ الطِّفْلِ قَدْ سَقَطَ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: (سَقَطَ الطِّفْلُ مِنَ الشَّرْفَةِ بِسْرَعَةٍ). غَيْرَ أَنَّنَا إِذَا غَيَّرْنَا التَّرْكِيْبَ نَفْسَهُ، عَلَى نَحْوِ بِصِيرٍ فِيهِ الْمُسْنَدُ الْفِعْلِيُّ صَادِرًا مِنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِشَكْلِ إِرَادِيٍّ، فَسَيَعْدُو عِنْدَئِذٍ مَجُوزًا: (أَسَقَطَ الطِّفْلُ نَفْسَهُ مُسْرَعًا/أَسَقَطَ الطِّفْلُ نَفْسَهُ بِسْرَعَةٍ).

الْمَرْحَلَةُ الْلُغَوِيَّةُ الثَّلَاثَةُ

التَّخْلُصُ مِنَ التَّكْرَارِ الْمَائِلِ فِي مُرَكَّبِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الْمَوْصُوفِ

تَوَضَّحَ، مِنْ الَّذِي فَاتَ، أَنَّ الْجُمْلَةَ الْمُنْطَوِيَّةَ عَلَى الْحَالِ ظَهَرَتْ إِلَى الْحَيِّزِ الْلُغَوِيِّ قَبْلَ ظُهُورِ الْجُمْلَةِ الْمَحْتَوِيَّةِ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ. وَتَطْبِيقُ هَذَا النَّظَرِ بِإِخْتِصَارٍ، يُفْضِي إِلَى الْقَوْلِ

بِأَنَّ الْجُمْلَةَ (فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ هَادِنًا) -مَثَلًا- قَدْ أُوجِدَتْ قَبْلَ الْجُمْلَةِ (فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ فَتَحًا هَادِنًا). وَلَكِنِّي أَحْسَبُ أَنَّهُ، بِتَطَاوُلِ الْأَيَّامِ وَتَقَادُمِ الزَّمَنِ، أَخَذَ الْحَسُّ اللَّغَوِيُّ لَدَى النَّاطِقِ بِالْعَرَبِيَّةِ يَتَشَكَّلُ - فِي مَرَحَلَةٍ مِنَ التَّطَوُّرِ ثَالِثَةٍ -، عَلَى نَحْوِ لَا يَسْتَسْبِغُ مَعَهُ كَثِيرًا أَمْرَ التَّكَرُّارِ الْمَاتِلِ فِي مُرَكَّبِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ لِمُؤَكَّدِ لَوْفُوعِ الْفِعْلِ -أَوْ سِبْهِهِ-، أَوْ الْمَبِينِ لِهَيْبَةِ وَقُوعِ الْفِعْلِ، وَهُوَ التَّكَرُّارُ الْوَاقِعُ بَيْنَ بَنِيَّةِ الْفِعْلِ وَبِنِيَّةِ الْمَصْدَرِ الْمُتَمَاتِلَتَيْنِ، كَمَا فِي قَوْلِكَ: (شَرِبْتُ الْقَهْوَةَ شَرْبًا) أَوْ (شَرِبْتُ الْقَهْوَةَ شَرْبًا سَرِيعًا).

فَمَنْ الْوَاضِحُ أَنَّنَا إِذَا أَعْمَلْنَا السَّلَاقِ اللَّغَوِيَّةَ -كَمَا هِيَ كَامِنَةٌ فِيْنَا الْيَوْمَ- فِي الْجُمْلَةِ: (شَرِبْتُ الْقَهْوَةَ شَرْبًا سَرِيعًا) -مَثَلًا-، وَجَدْنَا فِيهَا مَا هُوَ خَادِشٌ، وَوَجَدْنَا هَذِهِ الْجُمْلَةَ مُنْطَوِيَّةً عَلَى أَمْرٍ لَا تَتَقَبَّلُهُ كَثِيرًا. فَلِكَاثِي بِالنَّاطِقِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا عَادَ يَرْتَضِي كَثِيرًا، أَوْ -عَلَى الْأَقْل- لَمْ يَعْذُ مَيَّالًا إِلَى الْإِكْتِرَارِ مِنَ الْقَوْلِ: (نَجَحْتَ نَجَاحًا)، وَ(شَرِبْتَ شَرْبًا)، وَ(أَكَلْتَ أَكْلًا)، وَ(رَجَعُوا رُجُوعًا)، وَ(سَمِعْنَ سَمَاعًا)، وَ(عَضِبْتَ عَضْبًا)، وَ(خَسِرْتَ خَسَارَةً)، وَ(أَتَقَنْتُ إِتْقَانًا)، وَ(دَمَرْتُ تَدْمِيرًا)، وَ(حَافِظْتُ مُحَافِظَةً)، وَ(اتَّفَقُوا اتِّفَاقًا)، وَ(تَعَلَّقَ تَعَلُّقًا)، وَ(ارْتَفَعَ ارْتِفَاعًا)، وَ(اسْتَعَدَّ اسْتِعْدَادًا)...

وَلَعَلَّ الْأَمْرَ مَعْرُوفًا إِلَى أَنَّهُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي لَوَاعِي الْوَاحِدِ مِنَّا أَنَّ هَذَا التَّكَرُّارَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ أَوْ ذِكْرِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ. فَإِنَّ مِنَ الْمَقْطُوعِ بِهِ أَنَّ مَنْ شَرِبَ -مَثَلًا-، فَقَدْ شَرِبَ شَرْبًا بِكُلِّ تَأْكِيدٍ، وَلَمْ يَشْرَبْ أَكْلًا، أَوْ لَمْ يَشْرَبْ رُجُوعًا، أَوْ لَمْ يَشْرَبْ سَمَاعًا، أَوْ لَمْ يَشْرَبْ مَشْيًا، أَوْ لَمْ يَشْرَبْ حُضُورًا... فَإِنَّ الَّذِي شَرِبَ قَدْ أَتَى فِعْلَ "الشَّرْبِ" بِدَاهِيَّةٍ، أَوْ قَدْ وَقَعَ مِنْهُ "الشَّرْبُ" وَلَا شَيْءَ آخَرَ -حَسَبِ طَبَائِعِ الْأَشْيَاءِ-، أَطْنُ أَنَّ هَذَا بِالتَّحْدِيدِ هُوَ عَيْنٌ مَا جَعَلَ النَّاطِقَ يَقْرَأُ أَوْ يَنْفِرُ مِنَ التَّكَرُّارِ الْمَاتِلِ فِي مُرَكَّبِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ، أَوْ يَسْتَنْقِلهُ.

أَقُولُ: إِنَّ النَّاطِقَ اللَّغَوِيَّ، فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ، لَمْ يَرْتَضِ النَّوَسُوعَ أَوْ الْإِكْتِرَارَ مِنْ مِثْلِ: (ضَرَبَ ضَرْبًا)، وَ(ذَهَبَ ذَهَابًا)، وَ(اسْتَمَعَ اسْتِمَاعًا)، وَ(أَكْرَمَ إِكْرَامًا)، وَ(فَتَشَّ تَفْتِيشًا)، وَ(تَفَوَّقَ تَفَوُّقًا)... خَاصَّةً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ التَّكَرُّارَ فِي مُرَكَّبِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ قَدْ يَصِلُ أَحْيَانًا إِلَى حَدِّ التَّطَابُقِ، فَذَرَى مَجِيءَ "عَامِلِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ" مُصَدَّرًا لَا فِعْلًا، مِمَّا يَعْني أَنَّ الْمَصْدَرَ اصْنَحَ مَذْكَورًا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِكُونِهِ "عَامِلًا" سَابِقًا الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ -حَسَبِ تَعْبِيرَاتِ الْقَوْمِ-، وَمَرَّةً بِكُونِهِ "مَفْعُولًا مُطْلَقًا" مَذْكَورًا تَالِيًا أَوْ ثَانِيًا لِيُشِيرَ إِلَى هَيْبَةِ حُدُوثِ الْحَدِيثِ الْمَصْدَرِيِّ. تَأَمَّلِ الْجُمْلَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ:

- يُعْجِبُنِي إِحْسَانُكَ إِلَى الْفُقَرَاءِ إِحْسَانًا كَثِيرًا.

- سَيَجْرِي الْإِعْلَانُ عَنِ الْمُؤْتَمَرِ إِعْلَانًا تَفْصِيلِيًّا خِلَالَ الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ.

فَمَا كَانَ مِنَ النَّاطِقِ اللَّغَوِيِّ بِالْعَرَبِيَّةِ، بُغْيَةً مُعَالَجَةٍ أَمْرَ التَّكَرُّارِ الْمَاتِلِ فِي مُرَكَّبِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الْمُوصُوفِ، إِلَّا أَنْ سَعِيَ مَسْعَى اخْتِرَالِيًّا فِي الْمَرَحَلَةِ التَّطَوُّرِيَّةِ الثَّالِثَةِ. فَقَدْ شَرَعَتْ اللَّغَةُ تَنْحُو مَنَحَى اخْتِرَالِيًّا تَجَاهَ مُرَكَّبِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الْمُوصُوفِ، فَعَمَدَتْ إِلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ مِنَ الْمُرَكَّبِ وَإِقَامَةِ صِفَتِهِ مَقَامَهُ. خَاصَّةً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الْمَفْعُولَ الْمَطْلُوقَ الْمُوصُوفَ نَفْسَهُ فِي مَا ذَكَرْتُ فِي بَحْثِ سَابِقٍ - لَا تَوَكَّلْ لَهُ وَظِيْفَةُ الْإِبَانَةِ عَنِ النَّوْعِ مُطْلَقًا، هُوَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَوَاقِعِ

اللغة ليس مبيّناً للنوع بل هو مبيّن النوع بما يلحقه من صفة. لأن نوع التأثير لا يمكن أن يفهم أو يُستنتج من المفعول المطلق (تأثيراً) في: (يؤثر التدخين على الأشخاص تأثيراً اقتصادياً)، بل من الصفة (اقتصادياً) حسب. فالصفة (اقتصادياً) أبانت عن نوع (التأثير)، أي أن الصفة (اقتصادياً) هي المبيّنة لنوع المفعول المطلق، وأما المفعول المطلق نفسه فبيّن نوعه كلمة أخرى تتلوه، ليس غير.

وإن هذا المطروح هنا ليس بعيد الاحتمال، ولا هو صعب التصور، بل ليس هو بالجديد، ذلك أنا واجدون أن النحاة أنفسهم قد ذكروا ملاحظ مؤداها أن الناطق اللغوي قد عمد، في بعض الحالات، إلى حذف المصدر الذي هو المفعول المطلق. وقالوا، في حالات أخرى، بحذف الفعل. ولعل سلفنا الكرام قد استشعروا في ذلك كله الأمر الذي استشعرناه وقلناه، وهو أن الناطق بالعربية أخذ يتحاشى منذ وقت مبكر - التكرار الذي تُفصح عنه بنيه مركب المفعول المطلق. وهذا يُفسر لم استبدلت العربية في عهد بعيد من عهودها - القول المختصر: (سمعاً وطاعة)، بالقول: (أسمع سمعاً وأطيع طاعة). كما أن في ما نقول تفسيراً لجراننا القول: (أعجب عجباً) لصالح القول: (عجباً) وكفى. وبدل أن يقال: (هنا هنيئاً) -مثلاً- قيل اختصاراً: (هنيئاً) حسب، وبدلاً من القول: (أشكر لك شكرًا) -مثلاً- قلنا وقالوا قبلنا موجزين: (شكرًا) ليس غير. كما اكتفينا بـ(قطعاً) دون (أقطع قطعاً)، وكذا: (حمداً لله)، و(عفوًا)... إلخ. ومعلوم أن المفعول المطلق قد يُحذف فعله إذا أريد به كما قال النحاة - أن يدل على أمر، أو نهي، أو دعاء، أو توبيخ، أو تفصيل عاقبة⁽¹⁾.

هذا السابق كله هو من قبيل المفعول المطلق الذي حذف فعله، أما ما كان من قبيل حذف المفعول المطلق نفسه، فمثاله: (صفق كثيرًا)، وتقديره: (صفق تصفيقًا كثيرًا). كما أن أصل: (أكل كثيرًا) -عندهم- أن يقال: (أكل أكلاً كثيرًا). والحظ معي، تارة أخرى، كم يفجأ القول الأخير سلايقنا، وكم تمجبه أسمعنا: (أكل أكلاً كثيرًا). فلم تر اللغة بأساً في اطراح المفعول المطلق الموصوف، طالما كانت الهيئة غير مفهومة منه بأي مقدار، وذلك لأجل أن تنيب منابه وتجل محله الكلمة الموكلة إليها وظيفته الإبانة عن الهيئة، ألا وهي صفة المفعول المطلق. ومن هنا تأتي الأمر بالجملة الأولى من كل زوج جملي في ما يأتي، إلى أن أصبحت بعد حذف المفعول المطلق منها وإقامة صفته مقامه - على النحو الذي عليه الجملة الثانية:

- يُعجبني إحسانك إلى الفقراء إحسانًا كثيرًا. -
- يُعجبني إحسانك إلى الفقراء كثيرًا.
- سيجري الإعلان عن المؤتمر إعلانًا تفصيليًا خلال الأسبوع القادم. -
- سيجري الإعلان عن المؤتمر تفصيليًا خلال الأسبوع القادم.
- يؤثر التدخين على الأشخاص تأثيرًا اقتصاديًا. -

(1) أنظر: حسن، عباس: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياء اللغوية المنجدة، 2/220-229.

يُؤْتَرُ التَّدْبِيرُ عَلَى الْأَشْخَاصِ اِقتِصَادِيًّا.

وَيُعَدُّ هَذَا التَّدْبِيرُ الْجَدِيدُ، أَيَّ حَذْفِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ وَإِحْلَالِ صِفَتِهِ مَحَلَّهُ، الْحَلْفَةُ الثَّلَاثَةُ فِي النَّطُّورِ:

1. فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ مُسْرَعًا. (الْهَيْئَةُ اللَّغَوِيَّةُ الْأُولَى أَوْ الظَّاهِرَةُ أَوَّلًا، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ- الْهَيْئَةُ الْأَسْمِيَّةُ أَوْ الْحَالِ)
2. فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ فَتْحًا سَرِيعًا. (الْهَيْئَةُ اللَّغَوِيَّةُ الثَّانِيَّةُ أَوْ الظَّاهِرَةُ ثَانِيًا، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ- الْهَيْئَةُ الْفَعْلِيَّةُ الْأُولَى)
3. فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ سَرِيعًا⁽¹⁾. (الْهَيْئَةُ اللَّغَوِيَّةُ الثَّلَاثَةُ أَوْ الظَّاهِرَةُ ثَالِثًا، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ- الْهَيْئَةُ الْفَعْلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ)

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا التَّدْبِيرَ الثَّلَاثَ وَقَعَ فِي اللَّغَةِ كَثِيرًا جِدًّا، أَعْنِي أَنَّ اللَّغَةَ كَثِيرًا مَا تَنَزَّعَ إِلَى إِسْقَاطِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ وَإِقَامَةِ صِفَتِهِ مَقَامَهُ. اِلْحَظْ الْجُمْلَةَ الْآتِيَةَ:

- اِنْتَعَشَ الْبَلَدُ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ اِنْتِعَاشًا اِقتِصَادِيًّا. ->

اِنْتَعَشَ الْبَلَدُ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ اِقتِصَادِيًّا.

- تَعَمَلُ الْجَامِعَاتُ عَلَى تَأْهِيلِ طُلَّابِهَا تَأْهِيلًا تَرْبَوِيًّا. ->

تَعَمَلُ الْجَامِعَاتُ عَلَى تَأْهِيلِ طُلَّابِهَا تَرْبَوِيًّا.

- يَخْتَلِفُ تَعْلِيمُ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِعَرَبِيَّهَا اِختِلَافًا جَدْرِيًّا عَنِ تَعْلِيمِهَا لِلنَّاطِقِينَ بِهَا. ->

(1) واضحٌ جدًّا من هذا أنني لا أَعْتَقِدُ بِحَالِيَّةِ الْكَلِمَةِ (سَرِيعًا) -وَهُوَ مَا ثَبَتَ لِي فِي بَحْثِ آخَرَ- فِ (سَرِيعًا) مُتَوَهِّمٌ مَجْبِيهَا فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَالًا، وَهِيَ بِالْقَطْعِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ. وَدَلِيلِي عَلَى ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ أَنَّ الْأَحْوَالَ لَا تُقَدَّرُ قَبْلَهَا مَفْعُولَاتٌ مُطْلَقَةً، فَلَا يُقَالُ فِي (مَرَرْتُ بِعَمِّي جَالِسًا) التَّقْدِيرُ: (*مَرَرْتُ بِعَمِّي مُرَوِّرًا جَالِسًا)، وَلَا يُقَالُ فِي (تَجَلَّسْتُ فِي الْغُرْفَةِ بَاكِيَةً) التَّقْدِيرُ: (*تَجَلَّسْتُ فِي الْغُرْفَةِ جُلُوسًا بَاكِيًا). بَيْنَمَا نَسْتَطِيعُ دُونَ بَاسٍ- تَقْدِيرَ مَفْعُولٍ مُطْلَقٍ قَبْلَ (سَرِيعًا). فَبِئْسَ جُمْلَةً: (حَضَرَ مُدِيرَ الْمَرْكَزِ سَرِيعًا) يُمَكِّنُ أَنَّ يُسَاقَ التَّقْدِيرُ: (حَضَرَ مُدِيرَ الْمَرْكَزِ حُضُورًا سَرِيعًا). وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ صَحِيحًا أَنَّ (سَرِيعًا) حَالٌ، وَجِبَ أَنْ تُطَابِقَ صَاحِبِهَا مِنْ نَاحِيَةِ الْعَدَدِ وَجُوبًا. فَتَحَنُّ نَقُولُ فِي (سَعِيدًا) بِالْإِفْرَادِ: (حَضَرَ مُدِيرَ الْمَرْكَزِ سَعِيدًا)، وَنَقُولُ عِنْدَ التَّنْبِيهِ: (حَضَرَ مُدِيرًا الْمَرْكَزِيِّنِ سَعِيدِينَ)، وَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا الْقَوْلُ: (*حَضَرَ مُدِيرًا الْمَرْكَزِيِّنِ سَعِيدًا). وَالشَّيْءُ نَفْسُهُ يُقَالُ فِي الْجَمْعِ: (حَضَرَ مُدِيرًا الْمَرْكَزِ سَعِيدًا)، وَلَا يَصِحُّ: (*حَضَرَ مُدِيرًا الْمَرْكَزِ سَعِيدًا). وَلَكِنْ هَذَا لَا يُنْطَبِقُ عَلَى (سَرِيعًا)! إِذْ لَنَا أَنْ نُلْزِمَ (سَرِيعًا) شُكْلًا وَاجِدًا، مَعَ كُلِّ مَنْ الْمَفْرَدِ وَالْمُنْتَهَى وَالْجَمْعِ: (حَضَرَ مُدِيرَ الْمَرْكَزِ سَرِيعًا/حَضَرَ مُدِيرًا الْمَرْكَزِيِّنِ سَرِيعًا/حَضَرَ مُدِيرًا الْمَرْكَزِ سَرِيعًا). هَذَا لِأَنَّ (سَرِيعًا) تَنَسَّلَطَ عَلَى الْحُضُورِ فَتَصِفُهُ، وَلَا تَصِفُ الشَّخْصَ الْحَاضِرَ. أَقُولُ: إِنَّهَا تَصِفُ الْحُضُورَ وَهُوَ وَاجِدٌ مَهْمَا اِخْتَلَفَ الْحَاضِرُونَ مِنْ جِهَةِ الْعَدَدِ أَوْ الْجِنْسِ. وَأَجَلْ هَذَا لِكَ أَنْ نُلْزِمَ (سَرِيعًا) الْحَالَ نَفْسَهَا أَوْ الْهَيْئَةَ عَيْنَهَا مَعَ الْمُؤَنَّثِ أَيْضًا دُونَ أَنْ تَتَغَيَّرَ: (حَضَرَتْ مُدِيرَةَ الْمَرْكَزِ سَرِيعًا/حَضَرَتْ مُدِيرَتَا الْمَرْكَزِيِّنِ سَرِيعًا/حَضَرَتْ مُدِيرَاتِ الْمَرْكَزِ سَرِيعًا). وَكُلُّ هَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْحُضُورَ هُوَ السَّرِيعُ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ (سَرِيعًا) لَيْسَتْ مِنَ الْحَالِ فِي شَيْءٍ، لِأَنَّهَا تُبَيِّنُ هَيْئَةَ الْفِعْلِ (مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ/نَائِبٌ عَنِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ)، وَلَا تُبَيِّنُ هَيْئَةَ الْاسْمِ (حَالٌ).

يَخْتَلَفُ تَعْلِيمُ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا جَدْرِيًّا عَنْ تَعْلِيمِهَا لِلنَّاطِقِينَ بِهَا.

- هُوَ مُحَصَّنٌ تَخْصِينًا قَانُونِيًّا ضِدَّ الْمَلَاخَقَةِ الْقَضَائِيَّةِ. <

هُوَ مُحَصَّنٌ قَانُونِيًّا ضِدَّ الْمَلَاخَقَةِ الْقَضَائِيَّةِ.

- كُنَّا يَعْلَمُ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ مَرَضًا نَفْسِيًّا. <

كُنَّا يَعْلَمُ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ نَفْسِيًّا.

- إِنْهَارَ الْبِنَاءِ أَنْهِيَارًا كَلْبًا. <

إِنْهَارَ الْبِنَاءِ كَلْبًا.

- حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ عَلَيْهِ حُكْمًا غِيَابِيًّا. <

حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ عَلَيْهِ غِيَابِيًّا.

- نَظَرَ فِي الْأُورَاقِ نَظْرًا مَلِيًّا. <

نَظَرَ فِي الْأُورَاقِ مَلِيًّا.

- تَطَوَّرَتْ وَسَائِلُ الْإِتِّصَالَاتِ تَطَوُّرًا سَرِيعًا. <

تَطَوَّرَتْ وَسَائِلُ الْإِتِّصَالَاتِ سَرِيعًا.

- نَامَ نَوْمًا عَمِيقًا. <

نَامَ عَمِيقًا.

- بَدَأَ يَتَحَوَّلُ تَحَوُّلًا تَدْرِيجِيًّا. <

بَدَأَ يَتَحَوَّلُ تَدْرِيجِيًّا.

- بَحَثَ بَحْثًا تَفْصِيلِيًّا. <

بَحَثَ تَفْصِيلِيًّا.

المرحلة اللغوية الرابعة: (ب+مصدر)⁽¹⁾

أقول: رغم ما سبق، فقد أدى تطبيق التدبير الجديد في المرحلة اللغوية الثالثة، أي حذف المفعول المطلق لإقامة الصفة مكانه، إلى محذور آخر غريب جداً ظهر في طائفة مخصوصة من التراكيب. فإذا عمدت طلباً للإيضاح- إلى مثال سقناه ماضياً بعيداً من هذا البحث، وهو قولنا: (فتح مراد الباب فتحاً هادئاً)، وحاولنا أطراح المفعول المطلق منه لإحلال صفته محلّه على غرار الحاصل في التراكيب المسوقة عالياً، تحصّلنا على كلام محال: (*فتح مراد الباب هادئاً). تأمل:

1. فتح مراد الباب هادئاً. (الهيئة الاسمية/الحال).
2. فتح مراد الباب فتحاً هادئاً. (الهيئة الفعلية/مركب المفعول المطلق الموصوف).
3. *فتح مراد الباب هادئاً. (الهيئة الفعلية مرفوضة بعد حذف المفعول المطلق وإحلال صفته محلّه).

فإن إسقاط المفعول المطلق من الجملة (فتح مراد الباب فتحاً هادئاً) غير جائز، لأنه-أي الإسقاط- سيعيدنا إلى المرحلة اللغوية الأولى، مرحلة التعبير عن هيئة الاسم أو الذات، أو قل: إن هذا الإسقاط سيفضي إلى اختلاط التعبير عن الهيئة الاسمية بالتعبير عن الهيئة الفعلية. ولأن الأمر أدى إلى محذور، قامت اللغة بحيوية مطلقة ورغبة دائمة في التطور- بتدبير تركيب جديد به تحل الإشكال وتفض المحذور. وقد وجدت اللغة طلبتها في الباء التي أسميها بـ"الهيئة أو بـ"الكيفية أو بـ"الطريقة، متبوعه بمصدر الصفة التي لم تقو على أن تقوم مقام المفعول المطلق.

فأحسب أن هذا الموطن تحديداً هو الذي تآدى بالعربية-في الأصل- إلى أن تُعبّر عن الهيئة باستخدام (ب+مصدر). فبدلاً من التركيب المحذور (*فتح مراد الباب هادئاً)، المحذور على معنى نيابة المفعول المطلق لا على معنى الحالية، قامت اللغة-لتجريب التركيب في مرحلة لغوية رابعة- بـ"جلب الباء وإتباعها بالمصدر من (هادئاً) وهو (هدوء)، وبسبب من ذلكم في ما أحسب- بدأنا نشهد في اللغة تراكيب من قبيل: (فتح مراد الباب بهدوء). وقد شكّل هذا التطور الجديد الحلقة الرابعة في تطور مجمل تراكيب الهيئة الاسمية والفعلية في العربية، بينما يعد هذا التطور نفسه في الوقت نفسه- التطور الثالث لتراكيب الهيئة الفعلية.

(1) تجدر الإشارة إلى أن الشان في هذا المركب الجري ليس حكراً على الباء-بطبيعة الحال-، ولكن الباء-في الحقيقة- علم على غيرها من الأدوات التي قد تضطلع بدور المفتح عن الهيئة أو الحال. والباء، في ما انتهى إليه الحدس، أشهر الأدوات على المعنى المراد وأكثرها تواراناً. وهذا ليس بما يعنى من القول: إنه قد تأتي أدوات أخرى، مثل (على)، لتنهض بالدور الدلالي الذي تنهض به الباء، وذلك في مثل القول: (غادر القاعة على عجل/على مهل).

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّي لَمْ أَجِدْ مِنْ أَوْجِهِ الْبَاءِ الْمُنْصُوصِ عَلَيْهَا فِي كُتُبِ الْأَدْوَاتِ (1) وَجَهًا يُمَكِّنُ أَنْ يُطْمَأَنَّ إِلَيْهِ كَثِيرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الْبَاءِ السَّابِقَةِ الْمَصْدَرِ فِي مِثْلِ: (مَشَى بِبَطْءٍ)، وَتَحَدَّثَ بِسُخْرِيَّةٍ)، وَ(نَظَرَ إِلَيْهِ بِغَضَبٍ)، وَ(أَجَابَ بِثِقَةٍ). فَإِنِّي لِأَرَى الْبَيِّنَ شَاسِعًا بَيْنَ هَذِهِ الْبَاءِ وَالْبَاءِ الْآتِيَةِ عَلَى مَعْنَى الْإِلْصَاقِ-مَثَلًا-، سِوَاهُ كَانَ الْإِلْصَاقُ حَقِيقِيًّا كَمَا فِي قَوْلِنَا: (مَسَحَتْ يَدِي بِالْأَرْضِ)، وَ(أَمْسَكَتُ يَدِي زَيْدًا)، أَوْ الْإِلْصَاقَ مَجَازِيًّا نَحْوَ: (مَرَرْتُ بِزَيْدٍ). وَشَتَانُ مَا بَيْنَ الْبَاءِ الْمَدْرُوسَةِ وَالْبَاءِ الَّتِي لِلْإِسْتِعَانَةِ، وَهِيَ الدَّاحِلَةُ عَلَى آلَةِ الْفِعْلِ كَمِثْلِ: (كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ)، وَ(ضَرَبْتُ بِالسَّيْفِ)، وَ(يَفْلَانِ أَصَبْتُ الْعَرَضَ).

وَلَعَلَّ أَقْرَبَ أَوْجِهِ الْبَاءِ إِلَى بَانِنَا الْبَاءِ الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا لِلْمُصَاحَبَةِ، كَمَا فِي قَوْلِ مَوْلَانَا-تَقَدَّسَ-: (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) (2)، "أَيُّ مَعَ سَلَامٍ" (3). وَإِذَا كَانَتْ الْمُصَاحَبَةُ الزَّمْنِيَّةُ (أَوْ التَّوَاقُتُ) بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْحَالِ مُسْتَعْلِيَّةً، فَإِنِّي لَا أَفْضَلُ مُطْلَقًا أَنْ تُسَمَّى الْبَاءُ الْمَعْنِيَّةُ بَاءَ الْمُصَاحَبَةِ لِسَبَبَيْنِ: الْأَوَّلُ أَنَّ تَقْدِيرَ "مَعَ" (4) قَبْلَ الْمَصْدَرِ، بَدَلًا مِنَ الْبَاءِ، ضَعِيفٌ جِدًّا بَلْ هُوَ تَرْكِيبِيًّا لَا يَسْتَقِيمُ. تَأَمَّلْ: (مَشَى بِبَطْءٍ-مَعَ بَطْءٍ) وَ(تَحَدَّثَ بِسُخْرِيَّةٍ-مَعَ سُخْرِيَّةٍ)، وَ(نَظَرَ إِلَيْهِ بِغَضَبٍ-مَعَ غَضَبٍ)، وَ(أَجَابَ بِثِقَةٍ-مَعَ ثِقَةٍ). وَأَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي لِرَفْضِنَا "الْمُصَاحَبَةَ"، فَلِأَنَّ مُصْطَلَحَ "الْمُصَاحَبَةِ" نَفْسُهُ لَيْسَ فِيهِ إِفْصَاحٌ عَنِ الدَّوْرِ الدَّلَالِيِّ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي تُؤَدِّيهِ هَذِهِ الْبَاءُ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْهَيْئَةِ أَوْ الْكَيْفِيَّةِ أَوْ الطَّرِيقَةِ. وَأَدْعُو عَالِيًا إِلَى أَنْ تُخَصَّ هَذِهِ الْبَاءُ بِمُصْطَلَحٍ جَدِيدٍ، فَيُطْلَقَ عَلَيْهَا بَدَلًا مِنْ بَاءِ الْمُصَاحَبَةِ بَاءَ الْهَيْئَةِ أَوْ الْكَيْفِيَّةِ أَوْ الطَّرِيقَةِ، كَمَا انْكَشَفَ لَنَا سَابِقًا عِدَّةَ مَرَّاتٍ.

وَلَا عَجَبٌ مِنْ بَعْدِ أَنْ أُطْلِقَ كَثِيرٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ عَلَى "بَاءِ الْمُصَاحَبَةِ" مُصْطَلَحَ "بَاءِ الْحَالِ"، لِصَلَابَةِ وَقُوعِ الْحَالِ-كَمَا قَالُوا- مَوْفَعَهَا. قَالَ (الْمُرَادِي) (749هـ): هِيَ الَّتِي "يُعْنِي عَنْهَا وَعَنْ مَصْحُوبِهَا الْحَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ) (5) أَيُّ: مَعَ الْحَقِّ أَوْ مُحَقًّا، وَ(يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ) (6) أَيُّ: مَعَ سَلَامٍ، أَوْ مُسَلِّمًا عَلَيْكَ" (7).

وَتَطْبِيقًا عَلَى الْمَرْحَلَتَيْنِ الثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ، أوردُ فِي مَا يَأْتِي- أَمثلةً أُخْرَى هِيَ تَرَكَيبُ اشْتَمَلَتْ عَلَى مَرْكَبَاتٍ لِلْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الْمَوْصُوفِ، بِحَيْثُ يَنْتُجُ عَنِ حَذْفِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ مِنْهَا- بُعْيَةً إِمَّاكَانِ الصِّفَةِ مَكَانَهُ- تَرَكَيبُ تَرْفُضِهَا اللُّغَةَ تَمَامًا، وَلَكِنَّ اللُّغَةَ تَعُودُ لِتُجَوِّزَها بِالآلِيَةِ الْجَدِيدَةِ

(1) أَنْظَرُ-مَثَلَيْنِ-: إِبْنُ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ يُونُسَ الْأَنْصَارِيِّ: مُعْنَى اللَّيْبِ عَنِ كُتُبِ الْأَعْرَابِ، 168-117/2. وَ: الْمُؤَزَّعِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَطِيبِ: مَصَابِيحُ الْمُعَانِي فِي حُرُوفِ الْمُعَانِي، ص 194-206.

(2) هود 11 : 48.

(3) الْمُؤَزَّعِيُّ، مَصَابِيحُ الْمُعَانِي فِي حُرُوفِ الْمُعَانِي، ص 197.

(4) مَعْلُومٌ أَنَّ (مَعَ) هِيَ الْأَدَاةُ الْأَشْهُرُ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمُصَاحَبَةِ لَدَى النُّحَاةِ، وَقَدْ دَرَجُوا عَلَى تَقْدِيرِ (مَعَ) عِنْدَ تَبْيِينِ مَعْنَى الْمُصَاحَبَةِ فِي اسْتِعْمَالِ أَيِّ أَدَاةٍ أُخْرَى.

(5) النساء 4 : 170.

(6) هود 11 : 48.

(7) الْمُرَادِيُّ، الْحَسَنُ بْنُ قَاسِمٍ: الْجَنَى الدَّانِي فِي حُرُوفِ الْمُعَانِي، ص 40.

أو الوسيلة التي ابتدعتها في المرحلة اللغوية الرابعة، أعني الباء المثلثة بمصدر: (ب+مصدر).
تفحص الأمثلة الآتية:

- غَضِبَ بَكَرٌ غَضَبًا شَدِيدًا. ->
- * غَضِبَ بَكَرٌ شَدِيدًا. (مرفوضة) ->
- غَضِبَ بَكَرٌ بِشِدَّةٍ.
- رَفَضَ الْمُدِيرُ طَلَبِي رَفْضًا لَطِيفًا. ->
- * رَفَضَ الْمُدِيرُ طَلَبِي لَطِيفًا. (مرفوضة) ->
- رَفَضَ الْمُدِيرُ طَلَبِي بِلُطْفٍ.
- وَصَفَ الصَّغِيرُ أُخْتَهُ وَصْفًا دَقِيقًا. ->
- * وَصَفَ الصَّغِيرُ أُخْتَهُ دَقِيقًا. (مرفوضة) ->
- وَصَفَ الصَّغِيرُ أُخْتَهُ بِدِقَّةٍ.
- يَتَعَامَلُ مَعَ زَوْجَتِهِ تَعَامُلًا رَاقِيًا. ->
- * يَتَعَامَلُ مَعَ زَوْجَتِهِ رَاقِيًا. (مرفوضة) ->
- يَتَعَامَلُ مَعَ زَوْجَتِهِ بِرُقِيٍّ.
- تَكَلَّمْتُ أَمَالَ فِي الْمَوْضُوعِ تَكَلُّمًا سَهْلًا. ->
- * تَكَلَّمْتُ أَمَالَ فِي الْمَوْضُوعِ سَهْلًا. (مرفوضة) ->
- تَكَلَّمْتُ أَمَالَ فِي الْمَوْضُوعِ بِسُهولةٍ.

وَقَدْ يُنْظَرُ إِلَى الْأَمْرِ بِمَا هُوَ مِنْهُ فَيَقَالُ: إِنَّ مِمَّا اسْتَدْعَى (ب+مصدر) إِلَى الْحَيْزِ اللَّغَوِيِّ، أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَا تُجِيرُ أَحْيَانًا الْإِثْيَانَ بِالْحَالِ الْمُفْرَدَةِ مُعْبَّرَةً عَنْ هَيْئَةِ الذَّاتِ أَوِ الْأِسْمِ. فَإِذَا كَانَ مِنَ الصَّحِيحِ وَهُوَ النَّائِبُ لِي فِي بَحْثٍ سَابِقٍ- أَنَّ ثَمَّةَ "أَحْوَالًا" تَتَحَوَّلُ إِلَى "هَيْئَاتٍ" فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ⁽¹⁾: (سَمِعْتُهُ مُنْصِتًا- سَمِعْتُهُ بِإِنْصَاتٍ)، وَإِذَا كَانَ مِنَ الصَّوَابِ أَنَّ هُنَاكَ "أَحْوَالًا" لَا تَتَحَوَّلُ إِلَى "هَيْئَاتٍ" أَحْيَانًا أُخْرَى: (شَرِبْتُ الْعَصِيرَ وَاقْفًا- شَرِبْتُ الْعَصِيرَ بِوُقُوفٍ)، فَإِنَّ هُنَاكَ هَيْئَاتٍ فِي الْمُقَابِلِ- لَيْسَتْ لَهَا أَحْوَالٌ أَصْلًا. تَفْحَصِ الْأَمْثَلَةَ الْآتِيَةَ:

(1) أقول بتحول الحال إلى الهيئة، لا العكس، تأسيساً على ما تقرّر ماضياً من أنّ الحال (وهي هيئة للاسم) سابقة تاريخياً للهيئة (وهي هيئة للفعل أو الحدث).

- * غَضِبَ بَكْرٌ شَدِيدًا. (حالٌ مَرْفُوضَةٌ) -> غَضِبَ بَكْرٌ بِشِدَّةٍ.
 - * رَفَضَ الْمُدِيرُ طَلْبِي لَطِيفًا. (حالٌ مَرْفُوضَةٌ) -> رَفَضَ الْمُدِيرُ طَلْبِي بِطَلْفٍ.
 - * وَصَفَ الصَّغِيرُ أُخْتَهُ دَقِيقًا. (حالٌ مَرْفُوضَةٌ) -> وَصَفَ الصَّغِيرُ أُخْتَهُ بِدِقَّةٍ.
 - * أَحَبَّهَا مَجْنُونًا. (حالٌ مَرْفُوضَةٌ) -> أَحَبَّهَا بِجُنُونٍ.
 - * ضَرَبَهَا قَوِيًّا. (حالٌ مَرْفُوضَةٌ) -> ضَرَبَهَا بِقُوَّةٍ.
 - * يَتَكَلَّمُ التَّائِيْدِيَّةُ بَارِعًا. (حالٌ مَرْفُوضَةٌ) -> يَتَكَلَّمُ التَّائِيْدِيَّةُ بِبِرَاعَةٍ.
 - * أَدَّى الْحَرَكَاتِ نَاجِحًا. (حالٌ مَرْفُوضَةٌ) -> أَدَّى الْحَرَكَاتِ بِنَجَاحٍ.
- فَلِمَ تَقْبَلُ الْعَرَبِيَّةُ الْقَوْلَيْنِ: (مَشَى زَيْدٌ بِطَيِّبًا) وَ(شَرِبْتُ الْحَلِيبَ بَارِدًا)، وَتَرَفُّضُ الْقَوْلَيْنِ: (*غَضِبَ بَكْرٌ شَدِيدًا)، وَ(*رَفَضَ الْمُدِيرُ طَلْبِي لَطِيفًا)، مَعَ أَنَّ بِإِمْكَانِ الْمَرْءِ أَنْ يُنْشِئَ مِنْهَا جَمِيعَهَا عِلَاقَاتٍ إِسْنَادِيَّةً تَامَةً مَقْصُودَةً لِذَاتِهَا فِي مَا أَفْصَحْنَا عَنْهُ خَالِيًا: (زَيْدٌ بَطِيءٌ، الْحَلِيبُ بَارِدٌ، بَكْرٌ شَدِيدٌ، الْمُدِيرُ لَطِيفٌ)!

يَذُلُّ الْمَثَلُ السَّابِقُ: (*ضَرَبَهَا قَوِيًّا -> ضَرَبَهَا بِقُوَّةٍ)، وَغَيْرُهُ مِمَّا عَلَاهُ وَتَلَاهُ، عَلَى أَنَّ الْهَيْئَةَ وَالْحَالَ كَرَّةً أُخْرَى - لَا تَسْتَوِيَانِ. فَتَحْنُ نَقُولُ مُسْتَعْدِمِينَ الْهَيْئَةَ: (رَمَاهَا بِقُوَّةٍ)، وَلَا نَقُولُ مُسْتَعْدِمِينَ الْحَالَ: (*رَمَاهَا قَوِيًّا). وَلَعَلَّهُ بِسَبَبِ مِنْ هَذَا وَجَدْنَا (الرَّجَاجَ) يَفْرُ مِنْ تَقْدِيرِ "قَوِيًّا" بِوَصْفِهَا تَقْدِيرًا مُكَافِئًا لـ(بِقُوَّةٍ) الْوَارِدَةَ فِي قَوْلِ مَوْلَانَا: (خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)⁽¹⁾. أَقُولُ: لَمْ يَفْرُ "قَوِيًّا" مَعَ أَنَّهَا بِالتَّقْدِيرِ أَوْلَى لَوْلَا أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ تَرَفُّضُ إِسْنَادَ وَظِيْفَةَ الْحَالَ لِلْكَلِمَةِ "قَوِيًّا". فَبَدَلًا مِنْ "قَوِيًّا" قَدَّرَ (الرَّجَاجَ): "بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ" مَرَّةً، وَ"مُجْدًا" مَرَّةً أُخْرَى. قَالَ (الرَّجَاجُ): "بِإِجْبَاطِ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) أَيْ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ، أَيْ: خُذِ الْكِتَابَ مُجْدًا. وَمِثْلُهُ: خُذْهَا بِقُوَّةٍ أَيْ بِجِدِّ، أَيْ مُجْدًا"⁽²⁾.

وَمَهْمَا يَكُنْ فَنَاقِي أَحْسَبُ أَنَّ مِنَ السَّهْلِ مَعْرِفَةَ سَبَبِ رَفُضِ الْعَرَبِيَّةِ مَجِيءِ الْأَوْصَافِ (شَدِيدًا، لَطِيفًا، دَقِيقًا، مَجْنُونًا، قَوِيًّا، بَارِعًا، نَاجِحًا) أَجْرًا فِي الْجَمَلِ السَّابِقَةِ، وَهُوَ أَمْرٌ أَدْرَكَهُ النَّحَاةُ الْعَرَبُ بِبِرَاعَةٍ. إِذْ يُعْزَى السَّبَبُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَوْصَافٌ ثَابِتَةٌ مُلَازِمَةٌ أَصْحَابِهَا الْمُتَّصِفِينَ بِهَا، وَالْحَالَ فِي الْعَرَبِيَّةِ لَا تَكُونُ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ إِلَّا وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ الْمُؤَقَّتَةِ. قَالَ "ابْنُ السَّرَاجِ" (316هـ) ذَاكِرًا هَذَا الشَّرْطَ لِلْحَالِ: "وَالْحَالَ إِنَّمَا هِيَ هَيْئَةُ الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ، أَوْ صِفَتُهُ فِي وَقْتِ ذَلِكَ الْفِعْلِ الْمُخْبِرِ بِهِ عَنْهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الصِّفَةُ إِلَّا صِفَةً مُنْصَفَةً

(1) مريم 19 : 12.

(2) الرَّجَاجُ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّرِيِّ بْنِ سَهْلٍ: إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الرَّجَاجِ، 257/1.

عَبْرَ مَلَاذِمَةٍ⁽¹⁾. وَهُوَ مَا أَبْرَزَتْهُ "الطيفة إبراهيم النجار" حين قولها: "تكادُ حُدُودُ النَّحَاةِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَرْمَنَتِهِمْ، تَتَّفِقُ فِي تَحْدِيدِ الْمَلْحَظِ الدَّلَالِيِّ لِلْحَالِ فِي كَوْنِهِ هَيْئَةً الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ وَقَدْ وَقَّعَ الْفِعْلَ"⁽²⁾.

فَمَنْ كَانَ شَدِيدًا، كَانَتْ الشَّدَّةُ مَلَاذِمَةً إِيَّامِ شَكْلِ عَامٍ. وَمَنْ عُرِفَ بِأَنَّهُ لَطِيفٌ، عَدَا فِي أَكْثَرِ الْمَوَاقِفِ لَطِيفًا. وَمَنْ اتَّصَفَ بِالذَّقَّةِ، كَانَتْ الذَّقَّةُ دَبْدَبَةً وَمُنْهَجَةً. وَمَا اشْتَهَرَ أَحَدُ بِالْجُنُونِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ جُنُونًا مُسْتَمِرًّا...، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ. بَيِّدْ أَنْ قَبُولَ الْعَرَبِيَّةِ مَجِيءَ (بَشْدَةً، بِلُطْفٍ، بِدِقَّةٍ، بِجُنُونٍ، بِقُوَّةٍ، بِبِرَاعَةٍ، بِبِنَاجٍ) هَيْئَاتٍ، نَابِعٌ مِنْ كَوْنِهَا وَاسِمَةُ الْأَفْعَالِ فِي الْأَصْلِ- لَا الْأَسْمَاءِ، وَالْأَفْعَالِ- لَا رَيْبَ- مَحْدُودَةٌ زَمَنِيًّا، بَلَى يَكُونُ الْوَاحِدُ مِنْهَا مَخْصُوصًا إِمَّا بِزَمَنِ مَاضٍ، أَوْ حَاضِرٍ، أَوْ مُسْتَقْبَلٍ.

وَأَحْسَبُ أَنَّ ظَهْرَ الْمَرْكَبِ (بِ+مَصْدَرٍ) قَدْ يَكُونُ مُسَبِّبًا مِنْ طَرِيقِ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمَوْصُوفَةِ. فَلَقَدْ قُلْنَا مُفْتَتِحَ النَّحْبِ إِنَّ الْجُمْلَةَ (انْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ بِسُرْعَةٍ) تَعْنِي أَنَّ الْإِنْطِلَاقَ كَانَ سَرِيعًا، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي التَّحْلِيلِ النَّهَائِيِّ- أَنْ تَكُونَ السَّيَّارَةُ أَيْضًا سَرِيعَةً. فَيُظْهِرُ مِنْ هَذَا بِجَلَاءِ أَنَّ الْحَدِيثَ وَالْمُحَدَّثَ لَهُ مُتَصِفَانِ فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ- بِمَا اتَّصَلَتْ بِهِ الْبَاءُ. وَمِنْ هُنَا أَقُولُ: إِنَّ اللَّغَةَ قَدْ تَوَكَّأَتْ عَلَى هَذَا الْمَلْحَظِ فِي مَا يَبْدُو لِلْخَاطِرِ الْأَوَّلِ-، فَاسْتَمَرَّتْهُ لَفْظًا مَا قَدْ يَنْشَأُ مِنْ لَيْسَ مُحْتَمَلٍ فِي بَابِ الْحَالِ، وَذَلِكَ تَحْدِيدًا- حِينَمَا تَتَرَدَّدُ الْحَالُ الْمَفْرَدَةُ، أَوْ الْحَالُ الْجُمْلَةُ، بَيْنَ "صَاحِبِينَ" مُحْتَمَلِينَ أَوْ مَرْجَعِينَ مُمَكِّنِينَ، كَمَا فِي: (قَابِلْتُهُ مَسْرُورًا). فَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَالُ (مَسْرُورًا) "صَاحِبَانِ" تَرَدُّدُ هَذِهِ الْحَالِ لِكُلِّ دَوْنٍ عَنَاءٍ. إِذْ قَدْ يَكُونُ الْمُتَكَلِّمُ-الَّذِي هُوَ الْمَقَابِلُ نَفْسَهُ- هُوَ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا سَاعَةَ إِجْرَاءِ الْمَقَابِلَةِ، فَيَكُونُ "صَاحِبُ الْحَالِ" تَاءَ الْمُتَكَلِّمِ الْمَفْرَدِ (ت). وَبِالْمَقْدَارِ نَفْسِهِ مِنَ الْإِحْتِمَالِ: قَدْ يَكُونُ ضَمِيرُ الْغَائِبِ الْمَفْرَدِ (هُ) هُوَ "صَاحِبُ الْحَالِ". وَلَكِنْ هَذَا اللَّيْسُ فِي رَدِّ الْحَالِ إِلَى صَاحِبِهَا يَنْتَقِي فِي حَالِ تَوَسُّلِ اللَّغَةِ بِ(بِ+مَصْدَرٍ): (قَابِلْتُهُ بِسُرُورٍ)، فَيَعْدُو الْمُحَدَّثُ أَوْ الْمَقَابِلُ هُوَ الْمَسْرُورُ دُونَ الْمَقَابِلِ⁽³⁾.

وَالجَدِيرُ بِالْإِشَارَةِ أَنَّهُ، مَا إِنَّ أَضْحَى (بِ+مَصْدَرٍ) مُرَكَّبًا لِلْهَيْئَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَالْفَهْ النَّاطِقُ اللَّغَوِيُّ الْعَرَبِيُّ، حَتَّى شَرَعَ يُطَبِّقُهُ فِي كُلِّ حَالٍ، سِوَا مَا كَانَ تَمَّ مَحْظُورٌ أَمْ لَمْ يَكُنْ. فَلَقَدْ وَجَدْنَا التَّرَكِيبَ الْمُحْتَوِيَّ عَلَى مُرَكَّبِ الْهَيْئَةِ (بِ+مَصْدَرٍ) مُجَوِّزًا جَنبًا مَعَ التَّرَكِيبِ الْمُطَوِيِّ عَلَى الصِّفَةِ الْحَالَةِ مَحَلَّ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ. فَرَعَمَ تَجْوِيزِ إِحْلَالِ الصِّفَةِ مَحَلَّ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ فِي بَعْضِ

- (1) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل: الأصول في النحو، 213/1. ولعل في تسمية الحال بالحال ما يشير إلى أن الحال صفة غير مستمرة: "وإنما سميت الحال، لأنه لا يجوز أن يكون اسم الفاعل فيها إلا لما أنت فيه، تطاول الوقت أو قصر. ولا يجوز أن يكون لما مضى وانقطع ولا لما لم يأت من الأفعال" (ابن السراج، الأصول في النحو، 213/1). وقد وجدت الرأي نفسه لدى "ابن يعيش" (643هـ) إلا ما كان من استنباطه (أم) (بأ) في العبارة: "تطاول الوقت أم قصر" (ابن يعيش، موفق الدين النحوي، شرح المفصل، 55/2).
- (2) النجار، لطيفة إبراهيم: "الوظائف النحوية بين المركزي والهامشي: مثل من وظيفة الحال"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مجمع اللغة العربية الأردني: العدد الخامس والستون، ص 93.
- (3) وهو ما لم يلتفت إليه (مهدي أسعد عرار) في كتابه: أنظر: عرار، مهدي أسعد: ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفصل، ص 139-140.

التراكيب، فقد ألقينا مجيء (ب+مصدر)، كما يتوضح في التراكيب الموجودة جنباً في اللغة دون بأس: (نام نوماً عميقاً)، و(نام عميقاً)، و(نام بعمق). الحظ:

1. فتح مراد الباب مسرعاً. (الهيئة اللغوية الأولى، وهي الهيئة الاسمية أو الحال)
2. فتح مراد الباب فتحاً سريعاً. (الهيئة اللغوية الثانية، وهي في الوقت نفسه الهيئة الفعلية الأولى)
3. فتح مراد الباب سريعاً. (الهيئة اللغوية الثالثة، وهي في الوقت نفسه الهيئة الفعلية الثانية)
4. فتح مراد الباب بسرعة. (الهيئة اللغوية الرابعة، وهي في الوقت نفسه الهيئة الفعلية الثالثة)

يُسْتَنْجَحُ مِمَّا أوردته في المرحلتين الثالثة والرابعة أنَّ المفعول المطلق يُبدي مع صفته سلوكاً أحسبه فريداً في العربية بل غريباً، وهو ما تناولته بالتفصيل في بحث سابق. فقد تكشفت لي أنَّ هناك بُنْيَانَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ لِمُرَكَّبِ المفعول المطلق المُبَيِّنِ النَّوعِ الموصوف في اللغة العربية، مؤسساً هذا الرأي على ما ألفت عليه العربية من كونها تُبَيِّنُ، في بعض الأحوال، حذف المفعول المطلق الموصوف وإناية صفته منابه كما في قولنا: (إنهار البناء انهاراً كلياً -> إنهار البناء كلياً). بينما وجدتها، في الأحوال الأخرى، تمنع حذف المفعول المطلق فلا تقوى صفته من بعد على الحلول محله، كما في التركيبين: (تطورت الشركة تطوراً ملحوظاً -> *تطورت الشركة ملحوظاً). وقد أبحث، في صفحات البحث المنقضية، إلى القانون الذي في ضوئه نستطيع معرفة متى تقوى الصفة على أن تنوب مناب المفعول المطلق ومتى لا تستطيع. قلتُ هناك: إذا أعادنا الإسقاط والإحلال إلى المرحلة اللغوية الأولى، مرحلة استخدام الهيئة الاسمية أو الحال، لم يجوزا- الإسقاط والإحلال-، لأن المراد من الإسقاط والإحلال التعبير عن الهيئة الفعلية ليس غير. بطريقة أخرى: لا تُجيزُ العربية إحلال الصفة محل المفعول المطلق إن أفضى الإحلال إلى اختلاط التعبير عن الهيئة الفعلية بالتعبير عن الهيئة الاسمية.

المرحلة اللغوية الخامسة

(بشكل+صفة)، (بطريقة+صفة)، (بصورة+صفة)، (بصفة+صفة)، (على نحو+صفة)

تبيّن مما سلف أنَّ ثمة سبباً ناشئاً دعا العربية في المرحلة السابقة الرابعة، إلى أن تتجاوز مُرَكَّبِ المفعول المطلق الموصوف، وتوجد مُرَكَّبِ هيئة فعلية أو حداثية جديداً، تمثل في اجتلاب الباء مُتَّصِلَةً بالمصدر: (ب+مصدر). والسبب الموصوف المُفَصَّحُ عنه هو أنَّ إرادة الاختزال والاختصار للبنية التكرارية في مُرَكَّبِ المفعول المطلق الموصوف، أفضت إلى حذف المفعول المطلق وإناية صفته منابه. ولكن هذا الحذف وتلك الإناية أدبا، في طائفة من التراكيب، إلى محذور تمثل في اختلاط البنية الجديدة الناشئة من حذف المفعول المطلق، وهي هيئة فعلية، بالهيئة الاسمية (الحال).

غَيْرَ أَنِّي أَحْسَبُ أَنَّ رِحْلَةَ التَّطَوُّرِ اللَّاحِقِ بِالْهَيْئَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، لَمْ تَتَوَقَّفْ عِنْدَ الْمَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ (ب+مصدر)، بَلْ تَخَطَّاهَا التَّطَوُّرُ إِلَى مَرْحَلَةٍ خَامِسَةٍ لِأَسْبَابٍ دَقِيقَةٍ اسْتَجَدَّتْ. فَقَدْ انْكَشَفَ لِي أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَا تُبِيحُ الْإِثْبَانَ بِالْمُرَكَّبِ الْجَرِيِّ (ب+مصدر) كَيْفَمَا اتَّفَقَ فِي التَّرَاكِيِبِ جَمِيعِهَا. أَفْصَدُ أَنَّ هُنَاكَ طَائِفَةً مِنَ التَّرَاكِيِبِ لَمْ يَكُنْ بِالْإِمْكَانِ تَطْبِيقُ تَطَوُّرِ الْمَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ عَلَيْهَا، بَلْ كَانَ مِنْ الْمُتَعَدَّرِ أَصْلًا حَذْفُ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ مِنْهَا (الْمَرْحَلَةُ الثَّلَاثَةُ). هَذَا يَعْنِي أَنَّ صِفَةَ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ لَمْ تَقَوْ عَلَى الْخُلُوعِ مَحَلَّهُ، فَلَمْ يُجَدْ مَعَ هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ التَّطَوُّرُ الثَّلَاثُ، فَلَمَّا انْتَقَلْنَا إِلَى الْمَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ، وَهِيَ مَرْحَلَةُ الْمُرَكَّبِ (ب+مصدر) وَجَدْنَا تَطْبِيقَهُ هُوَ الْآخِرُ مُتَعَدِّرًا. أُرِيدُ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ تَطْبِيقَ التَّطَوُّرِ الثَّلَاثِ عَلَى بَعْضِ التَّرَاكِيِبِ بِحَذْفِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ مِنْهَا، أَدَّى إِلَى مَحْظُورٍ كَمَا وَصَفْنَا، فَلَمْ يَكُنْ فِي مَكْنَةِ الصِّفَةِ أَنْ تَنْوَبَ مَنَابِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ. اجْتِلَابِ (ب+مصدر) لِفَكِّ الْمُعْضِلِ!

وَمِثَالًا عَلَى هَذَا أَسْوَاقُ الْجُمْلَةِ: (تَنَاقُضَ فِي كَلَامِهِ تَنَاقُضًا صَارِحًا) -مَثَلًا-، وَهِيَ -حَسَبِ النَّصُّورِ الْمُتَبَيَّنِ فِي هَذَا بَحْثِ- آتِيَةٌ وَفَاقًا لِلْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ، وَلَكِنْ إِرَادَةُ التَّطَوُّرِ فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّلَاثَةِ، بِنِيَابَةِ صِفَةِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ عَنْهُ، أَفْضَتْ إِلَى تَرْكِيِبِ مَلْحُونٍ: (*تَنَاقُضَ فِي كَلَامِهِ صَارِحًا)! وَعِنْدَ انْتِقَالِنَا إِلَى الْمَرْحَلَةِ الثَّلَاثَةِ الرَّابِعَةِ، مَرْحَلَةِ اجْتِلَابِ (ب+مصدر)، حَصَلْنَا كَذَلِكَ عَلَى تَرْكِيِبِ آخَرَ مَلْحُونٍ: (*تَنَاقُضَ فِي كَلَامِهِ بَصْرَاخ)! وَمَادَامَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، فَقَدْ كَانَ لِرِزَامًا عَلَى اللُّغَةِ أَنْ لَا تَقْنَعَ مِنَ التَّطَوُّرِ بِالْحَدِّ الَّذِي وَصَلَتْ إِلَيْهِ، كَانَ لِرِزَامًا أَنْ لَا تَتَوَقَّفَ عِنْدَ الْمَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ، ذَلِكَ بِبَسَاطَةٍ. لِأَنَّ آخَرَ تَطَوُّرٍ مُتَحَقِّقٍ (هُوَ الرَّابِعُ) لَمْ يُجَدْ نَفْعًا فِي طَائِفَةٍ مِنَ التَّرَاكِيِبِ، بَلْ لَمْ يُجَدْ كَمَا أَلْمَحْتُ. التَّطَوُّرَانِ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ مَعَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مِنَ التَّرَاكِيِبِ!

أَقُولُ: لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْعَرَبِيَّةِ، فِي رِحْلَةِ تَطَوُّرِ التَّرَاكِيِبِ الْمُعْبَّرَةِ عَنِ الْهَيْئَةِ، إِلَّا أَنْ تَتَعَدَّى الْبَاءُ الْمَثْبُوعَةَ بِالْمَصْدَرِ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا رَأَيْنَا اللُّغَةَ لَا تَكْتَفِي بِالْبَاءِ مُؤَسَّرًا وَحِيدًا عَلَى الْهَيْئَةِ، فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْجَدِيدَةِ (الخامسة). بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى: لَمْ تَقْنَعَ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْمَرْحَلَةِ الْجَدِيدَةِ. بِهَذِهِ الْبَاءِ وَحْدَهَا دَالًا وَحِيدًا عَلَى الْهَيْئَةِ وَالْكَيفِيَّةِ وَالطَّرِيقَةِ، فَالْحَقَّقَتْ بِالْبَاءِ كَلِمَةً أُخْرَى تَكُونُ فَاقِعَةً الدَّلَالَةَ عَلَى مَعْنَى الْهَيْئَةِ وَالْكَيفِيَّةِ وَالطَّرِيقَةِ فِي أَصْلِ وَضْعِهَا الْمُعْجَمِيِّ. أَحَدَّتْ اللُّغَةُ تَتَوَسَّلُ بِكَلِمَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْهَيْئَةِ أَوْ الْكَيفِيَّةِ أَوْ الطَّرِيقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَصْدَرُ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ.

بَلْ إِنَّ الْمَصْدَرَ كَمَا قُلْتُ فِي مَوْطِنٍ سَابِقٍ مِنْ بَحْثِي هَذَا- لَيْسَ فِيهِ وَحْدَهُ مَا يُشِيرُ إِلَى هَيْئَةٍ أَوْ كَيْفِيَّةٍ أَوْ طَرِيقَةٍ. فَأَمَحَضَتْ اللُّغَةَ لِهَذَا الْعَرَضِ كَلِمَاتٌ عِدَّةٌ مِثْلُ: (شَكْلٌ/طَرِيقَةٌ/صُورَةٌ/صِفَةٌ/نَحْوٌ). فَتَجَسَّدَ التَّطَوُّرُ الْخَامِسُ (الْأَخِيرُ) فِي أَنْ تَلِيَ الْبَاءَ كَلِمَةٌ (شَكْلٌ)، أَوْ (طَرِيقَةٌ)، أَوْ (صُورَةٌ)، أَوْ (صِفَةٌ)، ثُمَّ تَلِيَ كُلًّا الصِّفَةَ عَيْنُهَا الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحِلَّ مَكَانَ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ: (بِشَكْلٍ+صِفَةٌ: بِشَكْلٍ مُسْتَمِرٍّ)، (بِطَرِيقَةٍ+صِفَةٌ: بِطَرِيقَةٍ مُسْتَمِرَّةً)، (بِصُورَةٍ+صِفَةٌ: بِصُورَةٍ مُسْتَمِرَّةً)،

(بصفة+صفة: بصفة مُستمرّة)⁽¹⁾. وَمِنْ هُنَا وَجَدْنَا اللَّغَةَ تَسْتَبْدِلُ بِالتَّرْكِيبِ السَّابِقِينَ الْمَلْحَنِينَ: (*تَنَاقُضٌ فِي كَلَامِهِ صَارِخًا)⁽²⁾، وَ(*تَنَاقُضٌ فِي كَلَامِهِ بِصَارِخٍ)، الْقَوْلُ: (تَنَاقُضٌ فِي كَلَامِهِ بِشَكْلِ صَارِخٍ).

وَقَدْ وَجَدْنَا اللَّغَةَ تَفْعُلُ الشَّيْءَ عَيْبَةً فِي الْقَوْلِ-مَثَلًا آخَرَ-: (تَنْتَهَكُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْقَوَانِينَ الدَّوْلِيَّةَ انْتِهَاكًا فَاضِحًا)-مَثَلًا-، فَإِنَّهَا مَنَعَتْ الْحَذْفَ وَالْإِنَابَةَ: حَذَفَ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقَ وَإِنَابَةَ صِفَتِهِ مِنْابِهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ هُنَا اسْتِقَاطُ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ مُطْلَقًا، فَلَا يُقَالُ: (*تَنْتَهَكُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْقَوَانِينَ الدَّوْلِيَّةَ فَاضِحًا)، كَمَا لَا يَصِحُّ الْإِثْنَانُ بِ-(*مَصْدَرٍ): (*تَنْتَهَكُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْقَوَانِينَ الدَّوْلِيَّةَ بِفَضِحٍ). وَلَمَّا كَانَ الْمَنْحَى التَّطَوُّرِيُّ فِي أَيِّ لُغَةٍ غَلَابًا، لَمْ يَكُنْ تَمَّ بَدُّ مِنْ تَدْبِيرِ الْأَمْرِ وَقَضَى الْمَحْظُورِ الْمُتَوَلَّدِ مِنْ حَذْفِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ أَوْ اجْتِلَابِ -(*مَصْدَرٍ). فَمَا كَانَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَبَقَتْ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ مَحْذُوفًا، مُسْتَبَدَّلَةً بِهِ عِبَارَةً (بِشَكْلِ) مَثْبُوعَةً بِمَا كَانَتْ صِفَةً لِلْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ، لِتُضْحِي صِفَةً لِكَلِمَةٍ (شَكْلٍ) فِي الْعِبَارَةِ الْمُجْتَلَبَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ: (بِشَكْلِ). وَهَذَا أَفْضَى إِلَى أَنَّ اللَّغَةَ اسْتَبَدَلَتْ بِالْقَوْلَيْنِ الْمُحْطَأَيْنِ: (*تَنْتَهَكُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْقَوَانِينَ الدَّوْلِيَّةَ فَاضِحًا)، وَ(*تَنْتَهَكُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْقَوَانِينَ الدَّوْلِيَّةَ بِفَضِحٍ) الْقَوْلُ: (تَنْتَهَكُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْقَوَانِينَ الدَّوْلِيَّةَ بِشَكْلِ فَاضِحٍ). تَأْمَلْ مَزِيدًا مِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى هَذَا الَّذِي أَقُولُ:

- تَطَوَّرَتِ الشَّرِكَةُ تَطَوُّرًا مَلْحُوظًا. <
- *تَطَوَّرَتِ الشَّرِكَةُ مَلْحُوظًا. (رَفُضَ الْحَذْفِ وَالْإِنَابَةَ)⁽³⁾ <
- *تَطَوَّرَتِ الشَّرِكَةُ بِلِحْظٍ. (رَفُضَ الْمُرْكَبِ: بِ-(*مَصْدَرٍ) <
- تَطَوَّرَتِ الشَّرِكَةُ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ.
- اِنْتَقَدَ رَئِيسُ الْحَزْبِ الْاِنْتِخَابَاتِ الْأَخِيرَةَ اِنْتِقَادًا لَادِعًا. <
- *اِنْتَقَدَ رَئِيسُ الْحَزْبِ الْاِنْتِخَابَاتِ الْأَخِيرَةَ لَادِعًا. (رَفُضَ الْحَذْفِ وَالْإِنَابَةَ) <
- *اِنْتَقَدَ رَئِيسُ الْحَزْبِ الْاِنْتِخَابَاتِ الْأَخِيرَةَ بِلُدْعٍ. (رَفُضَ الْمُرْكَبِ: بِ-(*مَصْدَرٍ) <
- اِنْتَقَدَ رَئِيسُ الْحَزْبِ الْاِنْتِخَابَاتِ الْأَخِيرَةَ بِشَكْلِ لَادِعٍ.

(1) يَنْبَغِي أَنْ أُشِيرَ إِلَى أَنَّي سَأَرْكُرُ الْقَوْلَ عَلَى (بِشَكْلِ+صفة)، وَمَا يُقَالُ بِشَأْنِ (بِشَكْلِ+صفة) يَنْطَبِقُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ- عَلَى الْأَخْرِيَّاتِ: (بِطَرِيقَةٍ+صفة)، وَ(بِصُورَةٍ+صفة)، وَ(بِصِفَةٍ+صفة)، وَ(عَلَى نَحْوِ+صفة). وَأَعْتَرَفُ بِأَنَّ تَجْلِيَّةَ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا خُمُسَتَهَا يُفْتَقِرُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّجْلِيَّةِ وَالْكَشْفِ! فَنَحْنُ نَقُولُ بِالسَّوَابِي: (بِطَرِيقَةٍ وَحُشْبِيَّةٍ وَبِشَكْلِ وَحُشْبِيٍّ)، وَ(بِطَرِيقَةٍ بَشَعَةٍ وَبِشَكْلِ بَشَعٍ)، وَ(بِطَرِيقَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَبِشَكْلِ إِنْسَانِيٍّ)، وَ(بِطَرِيقَةٍ جُنُونِيَّةٍ وَبِشَكْلِ جُنُونِيٍّ)، وَ(بِطَرِيقَةٍ صَحْبِيَّةٍ وَبِشَكْلِ صَحْبِيٍّ)، وَ(بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ قَانُونِيَّةٍ وَبِشَكْلِ غَيْرِ قَانُونِيٍّ)، وَ(بِطَرِيقَةٍ عَشْوَانِيَّةٍ وَبِشَكْلِ عَشْوَانِيٍّ)... الخ. وَلَكِنَّ السَّوَابِي يُعَدِّمُ فِي أَحْيَانٍ أُخْرَى، فَإِنَّمَا نَقُولُ: (إِنهَارَ الْبِنَاءِ بِشَكْلِ كَلْبِيٍّ)، وَلَا نَقُولُ: (*إِنهَارَ الْبِنَاءِ بِطَرِيقَةٍ كَلْبِيَّةٍ)!

(2) الرَّفُضُ لَا عَلَى مَعْنَى الْحَالِيَّةِ، بَلْ عَلَى مَعْنَى النِّيَابَةِ عَنِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ.

(3) الْمُرَادُ بِالْحَذْفِ حَذْفُ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ، وَالْمُرَادُ بِالْإِنَابَةِ إِنَابَةُ صِفَةِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ مِنْابِهِ.

- أَدَى دَوْرَهُ أَدَاءً مُخْتَلِفًا. <-
 *أَدَى دَوْرَهُ مُخْتَلِفًا. (رَفُضَ الحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) <-
 *أَدَى دَوْرَهُ بِإِخْتِلَافٍ. (رَفُضَ المُرَكَّبِ: بِ+مَصْدَر) <-
 أَدَى دَوْرَهُ بِشَكْلِ مُخْتَلِفٍ.
- فَشِلَ البُلْدَانِ فِي مُحَادَثَاتِهِمَا فَشَلًا ذُرِيَعًا. <-
 *فَشِلَ البُلْدَانِ فِي مُحَادَثَاتِهِمَا ذُرِيَعًا. (رَفُضَ الحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) <-
 *فَشِلَ البُلْدَانِ فِي مُحَادَثَاتِهِمَا بِذُرْعٍ. (رَفُضَ المُرَكَّبِ: بِ+مَصْدَر) <-
 فَشِلَ البُلْدَانِ فِي مُحَادَثَاتِهِمَا بِشَكْلِ ذُرِيَعٍ.
- لَقَدْ أَسْهَمَ فِي تَنْمِيَةِ الوَزَارَةِ إِسْهَامًا كَبِيرًا. <-
 *لَقَدْ أَسْهَمَ فِي تَنْمِيَةِ الوَزَارَةِ كَبِيرًا. (رَفُضَ الحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) <-
 *لَقَدْ أَسْهَمَ فِي تَنْمِيَةِ الوَزَارَةِ بِكَبْرٍ. (رَفُضَ المُرَكَّبِ: بِ+مَصْدَر) <-
 لَقَدْ أَسْهَمَ فِي تَنْمِيَةِ الوَزَارَةِ بِشَكْلِ كَبِيرٍ.
- اِنْتَصَرَ الحَيْشُ العَرَبِيُّ اِنْتِصَارًا سَاحِقًا. <-
 *اِنْتَصَرَ الحَيْشُ العَرَبِيُّ سَاحِقًا. (رَفُضَ الحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) <-
 *اِنْتَصَرَ الحَيْشُ العَرَبِيُّ بِسَخِيٍّ. (رَفُضَ المُرَكَّبِ: بِ+مَصْدَر) <-
 اِنْتَصَرَ الحَيْشُ العَرَبِيُّ بِشَكْلِ سَاحِقٍ.
- إِنَّهُ يُقَدِّرُ أَصْدِقَاءَهُ تَقْدِيرًا عَظِيمًا. <-
 *إِنَّهُ يُقَدِّرُ أَصْدِقَاءَهُ عَظِيمًا. (رَفُضَ الحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) <-
 *إِنَّهُ يُقَدِّرُ أَصْدِقَاءَهُ بِعَظْمَةٍ. (رَفُضَ المُرَكَّبِ: بِ+مَصْدَر) <-
 إِنَّهُ يُقَدِّرُ أَصْدِقَاءَهُ بِشَكْلِ عَظِيمٍ.
- حَرَّمَ الإِسْلَامُ الحَمْرَ تَحْرِيمًا قَاطِعًا. <-
 *حَرَّمَ الإِسْلَامُ الحَمْرَ قَاطِعًا. (رَفُضَ الحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) <-
 *حَرَّمَ الإِسْلَامُ الحَمْرَ بِقَطْعٍ. (رَفُضَ المُرَكَّبِ: بِ+مَصْدَر) <-
 حَرَّمَ الإِسْلَامُ الحَمْرَ بِشَكْلِ قَاطِعٍ.

- تَحَسَّنَتْ أحوالُ الْفُقَرَاءِ تَحَسُّناً طَفِيفاً.
- *تَحَسَّنَتْ أحوالُ الْفُقَرَاءِ طَفِيفاً. (رَفُضَ الْحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) ->
- *تَحَسَّنَتْ أحوالُ الْفُقَرَاءِ بِطَفٍّ. (رَفُضَ الْمُرْكَبِ: بِ+مَصْدَرٍ) ->
- تَحَسَّنَتْ أحوالُ الْفُقَرَاءِ بِشَكْلِ طَفِيفٍ.
- كَانَتْ الشَّمْعَةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْطَفِئُ انْطِفَاءً غَامِضًا.
- *كَانَتْ الشَّمْعَةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْطَفِئُ غَامِضًا. (رَفُضَ الْحَذْفِ وَالْإِنَابَةِ) ->
- *كَانَتْ الشَّمْعَةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْطَفِئُ بِغَمُوضٍ⁽¹⁾. (رَفُضَ الْمُرْكَبِ: بِ+مَصْدَرٍ) ->
- كَانَتْ الشَّمْعَةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْطَفِئُ بِشَكْلِ غَامِضٍ.
- أَخْلَصُ مِنَ السَّابِقِ إِلَى الْقَوْلِ: إِنَّ عَدَمَ جَوَازِ حَذْفِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ الْمُوصُوفِ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، هُوَ الْمَتَسَبِّبُ فِي تَوْلِيدِ الْعِبَارَةِ "الْجَدِيدَةِ" الَّتِي بِهَا فُضَّ الْإشْكَالُ وَرَفِعَ الْحَظَرُ: (بِ+مَصْدَرٍ). وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ: إِنَّ عَدَمَ جَوَازِ مَجِيءِ بَعْضِ الْمَصَادِرِ مُعْبَّرَةٌ عَنِ الْهَيْئَةِ فِي الْمُرْكَبِ (بِ+مَصْدَرٍ)، أَوْ إِنَّ عَدَمَ قُدْرَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَصَادِرِ عَلَى النُّحُولِ فِي هَذَا الْمُرْكَبِ الْجَرِيٍّ لِعَدَمِ إِفْصَاحِهَا عَنِ الْهَيْئَةِ مُعْجَمِيًّا، كَانَ هُوَ الْمَتَسَبِّبَ لِأَحْقَاقِ فِي إِنتَاجِ آخِرِ عِبَارَاتِ الْهَيْئَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ: (بِشَكْلِ+صِفَةٍ). وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ مَجْمَعَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمِصْرِيَّ كَانَ قَدْ تَنَاولَ التَّرْكِيبَ (سَارَ بِشَكْلِ حَسَنِ) فَجَوَّزَهُ. قَالَ "أَحْمَدُ مُخْتَارٌ عُمَرُ وَمُسَاعِدُوهُ": "سَارَ بِشَكْلِ حَسَنِ: مَرْفُوضَةٌ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، لِمُخَالَفَةِ الْجُمْلَةِ لِلْأَسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ. الرَّأْيُ وَالرُّثْبَةُ: 1-سَارَ سَيْرًا حَسَنًا (فَصِيحَةٌ) 2-سَارَ بِشَكْلِ حَسَنِ (صَحِيحَةٌ) الْمَشْهُورُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ أَنْ يُؤْتَى بِالْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ، وَلَكِنْ أَجَازَ مَجْمَعَ اللُّغَةِ الْمِصْرِيَّ اسْتِغْمَالَ الْأَسْلُوبِ الثَّانِي أَيْضًا لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ بَيَانًا لِهَيْئَةِ الْحَدَثِ أَوْ صَاحِبِهِ"⁽²⁾.

(1) قُلْتُ أَوَّلَ النَّحْتِ إِنَّ الْإِثْبَانَ بِالْحَالِ أَوْ الْهَيْئَةَ إِنَّمَا يَعْني أَنَّ كُلًّا مِنَ الْحَدَثِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مُتَّصِفَانِ بِالْحَالِ دُونَ فَرْقٍ. فَعِنْدَ الْقَوْلِ: (رَكِبْتُ السَّيَّارَةَ مُسْرَعًا)، أَوْ: (رَكِبْتُ السَّيَّارَةَ بِسُرْعَةٍ)، فَالْمَعْنَى فِي الْجُمْلَتَيْنِ أَنَّ الرُّكُوبَ قَدْ تَمَّ بِسُرْعَةٍ، وَأَنَّ الرَّاكِبَ بِالضَّرُورَةِ كَانَ مُسْرَعًا. أَقُولُ: فَإِذَا لَمْ يَصِحَّ اتِّصَافُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالْهَيْئَةِ، لَمْ يَصِحَّ اجْتِلَابُ (بِ+مَصْدَرٍ). مِثَالًا عَلَى هَذَا أَقُولُ: إِذَا كَانَ مِنَ الصَّحِيحِ أَنْ يَنْصِفَ انْطِفَاءُ الشَّمْعَةِ الْمُنْكَرَّرِ دُونَ وُجُودِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ لِهَذَا الْانْطِفَاءِ- بِالْغَمُوضِ، فَلَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ أَنْ تَوْصَفَ الشَّمْعَةُ نَفْسُهَا بِالْغَمُوضِ. وَمِنْ هُنَا فِي تَقْدِيرِي- لَمْ يَجْزِ الْقَوْلُ: (*كَانَتْ الشَّمْعَةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْطَفِئُ بِغَمُوضٍ)، فَتَعَدَّاهُ النَّاطِقُ إِلَى اسْتِخْدَامِ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ) فَالْقَوْلُ: (كَانَتْ الشَّمْعَةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْطَفِئُ بِشَكْلِ غَامِضٍ).

(2) عُمَرُ، أَحْمَدُ مُخْتَارٌ (بِمُسَاعَدَةِ فَرِيْقِ عَمَلٍ): مُعْجَمُ الصَّوَابِ اللَّغَوِيِّ، رَقْمٌ: (1213)، 183/1.

وأوجز، في الجدول الآتي، المراحل اللغوية الخمس المزعومة لتطور التراكيب المفصحة عن الهيئة الاسمية والفعلية في العربية⁽¹⁾:

الترتيب الزمني لمرحلة التطور	مضمون التطور الحاصل	مثال على التطور
المرحلة اللغوية الأولى	التعبير عن الهيئة الاسمية بالحال.	فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ مُسْرِعًا.
المرحلة اللغوية الثانية	التعبير عن الهيئة الفعلية بمركب المفعول المطلق الموصوف.	فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ فَتْحًا سَرِيعًا.
المرحلة اللغوية الثالثة	التعبير عن الهيئة الفعلية بإطراح المفعول المطلق وإحلال صيفته محله.	فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ سَرِيعًا.
المرحلة اللغوية الرابعة	التعبير عن الهيئة الفعلية باستخدام المركب (ب+مصدر).	فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ بِسُرْعَةٍ.
المرحلة اللغوية الخامسة	التعبير عن الهيئة الفعلية باستخدام: (بشكل+صفة)، أو (بطريقة+صفة)، أو (بصورة+صفة)، أو (بصفة+صفة)، أو (على نحو+صفة).	فَتَحَ مُرَادُ الْبَابِ بِشَكْلِ سَرِيحٍ.

وما قلته سالفًا بشأن شيوع المركب الجري (ب+مصدر)، وإلف الناطق اللغوي به، وطرده على أكثر التراكيب، أقول الشيء نفسه في حق (بشكل+صفة). إذ يبدو لي-تارة أخرى- أنه بعد أن عدا هذا التطوير "الجديد" شائعًا مألوفًا لدى الناطق اللغوي بالعربية، أخذ يسحب على كثير

(1) أتوه إلى أنني لم أستطع أن أتبين-على نحو شمولي مطرد- وجهًا للتطور أخص به مركب الهيئة المتضمن المفعول المطلق المضاف والمضاف إليه. بمعنى أنني لم أنجح-بشكل مفتح- في وضع المركب (المفعول المطلق المضاف+المضاف إليه) في سياق التطور اللغوي التاريخي الذي به أنادي في هذا البحث! ولكني لمحت، في أحيان قليلة بل نادرة، علاقة ما غير مفهومه ناهضة بينه وبين بعض مركبات الهيئة الأخرى، كما في: (ضربه ضرب الوحوش-ضربه ضربًا وحشيًا-ضربه بوحشية-ضربه بشكل وحشي)، و(انطلقت السيارة انطلاق الصاروخ-انطلقت السيارة انطلاقًا صاروخيًا-انطلقت السيارة بشكل صاروخي). يضاف إلى غير المستطاع في بحثي هذا ما عده السلف اسم الهيئة أو مصدر الهيئة، وهو الذي يرد على وزن (فعله)، نحو (قعدة، وجلسة،...)، خاصة إذا ما كان في هيئة مركبية، كالأقول: (جلس جلسة سوء). لكنني أعترف بأن الأمر يفتقر إلى مزيد من التجليّة وكثير من الكشف في بحث آخر مستقل.

مِنَ الْجُمْلَةِ⁽¹⁾ فَمَعَ أَنَّ اطَّرَاحَ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ مِنَ الْجُمْلَةِ (يَخْتَلِفُ تَعْلِيمُ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا اخْتِلافًا جَدْرِيًّا عَنِ تَعْلِيمِهَا لِلنَّاطِقِينَ بِهَا)، يُفْضَى إِلَى تَرْكِيبِ مَجْوزٍ: (يَخْتَلِفُ تَعْلِيمُ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا جَدْرِيًّا عَنِ تَعْلِيمِهَا لِلنَّاطِقِينَ بِهَا)، فَإِنَّ اللَّغَةَ، بَعْدَ تَخْلُقِ الْوَسِيلَةِ الْجَدِيدَةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْهَيْئَةِ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ)، شَرَعَتْ تَطْرُدُ الْأَمْرَ عَلَى مُخْتَلَفِ الْجَمَلِ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ فِي الْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ: (يَخْتَلِفُ تَعْلِيمُ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا بِشَكْلِ جَدْرِيٍّ عَنِ تَعْلِيمِهَا لِلنَّاطِقِينَ بِهَا). وَمِنْهُ:

- هُوَ مُحَصَّنٌ تَحْصِينًا قَانُونِيًّا ضِدَّ الْمَلَاخَقَةِ الْقَضَائِيَّةِ. <

هُوَ مُحَصَّنٌ قَانُونِيًّا ضِدَّ الْمَلَاخَقَةِ الْقَضَائِيَّةِ. <

هُوَ مُحَصَّنٌ بِشَكْلِ قَانُونِيٍّ ضِدَّ الْمَلَاخَقَةِ الْقَضَائِيَّةِ.

- إِنْهَارَ الْبِنَاءِ أَنْهِيَارًا كُلِّيًّا. <

إِنْهَارَ الْبِنَاءِ كُلِّيًّا. <

إِنْهَارَ الْبِنَاءِ بِشَكْلِ كُلِّيٍّ.

- حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ عَلَيْهِ حُكْمًا غِيَابِيًّا. <

حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ عَلَيْهِ غِيَابِيًّا. <

حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ عَلَيْهِ بِشَكْلِ غِيَابِيٍّ.

- نَظَرَ فِي الْأُورَاقِ نَظْرًا مَلِيًّا. <

نَظَرَ فِي الْأُورَاقِ مَلِيًّا. <

نَظَرَ فِي الْأُورَاقِ بِشَكْلِ مَلِيٍّ.

- لَا أُرِيدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ قِرَاءَةً جَمَاعِيَّةً.

لَا أُرِيدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ جَمَاعِيًّا.

لَا أُرِيدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ بِشَكْلِ جَمَاعِيٍّ.

- لَا بُدَّ مِنَ السَّيْرِ سَيْرًا حَثِيثًا فِي عَمَلِيَّةِ الْإِصْلَاحِ الشَّامِلِ.

لَا بُدَّ مِنَ السَّيْرِ حَثِيثًا فِي عَمَلِيَّةِ الْإِصْلَاحِ الشَّامِلِ.

(1) قُلْتُ مُحْتَرِسًا إِنَّ النَّاطِقَ اللَّغَوِيَّ، فِي مَرَحَلَةٍ لِعَوِيَّةٍ لَاحِقَةٍ، سَحَبَ التَّطْوِيرَ الْجَدِيدَ: (بِشَكْلِ+صِفَةٍ)، عَلَى "كَثِيرٍ" مِنَ الْجُمْلَةِ الْمَصْنُوقَةِ فِي خَانَةِ النَّوْعِ الْأَوَّلِ مِنْ نَوْعِيٍّ مَرَكَّبِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ الْمُؤَصِّفِ، أَيِ الَّذِي تَجَوَّزَ فِيهِ إِقَامَةُ الصَّفَةِ مَقَامَ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ، ذَلِكَ لِأَنَّيْ عَثَرْتُ عَلَى جَمَلٍ لَمْ أَهْتَدِ إِلَى السَّبَبِ الَّذِي يَحُولُ دُونَ إِقْحَامِ (بِشَكْلِ) فِيهَا. أَنْعِمَ النَّظْرَ مَثَلًا- فِي: كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ مَرَضًا نَفْسِيًّا. <- كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ بِشَكْلِ نَفْسِيٍّ.

- لا بُدَّ مِنَ السَّيْرِ بِشَكْلِ حَثِيثٍ فِي عَمَلِيَّةِ الإِصْلَاحِ الشَّامِلِ.
- سَيَجْرِي الإِغْلَانُ عَنِ المُؤْتَمَرِ إِعْلَانًا تَفْصِيلِيًّا خِلَالَ الأُسْبُوعِ القَادِمِ.
- سَيَجْرِي الإِغْلَانُ عَنِ المُؤْتَمَرِ تَفْصِيلِيًّا خِلَالَ الأُسْبُوعِ القَادِمِ.
- سَيَجْرِي الإِغْلَانُ عَنِ المُؤْتَمَرِ بِشَكْلِ تَفْصِيلِيٍّ خِلَالَ الأُسْبُوعِ القَادِمِ.
- لِمَ طَوَّرَتِ اللُّغَةُ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ) مِنْ (بِ+مَصْدَرٍ)؟

السَّبَبُ الأَوَّلُ

ظَهَرَ لَنَا، مِمَّا سَبَقَ، السَّبَبُ العَامُّ الَّذِي حَدَا بِالعَرَبِيَّةِ إِلَى أَنْ تُطَوَّرَ مُرَكَّبُ الهَيْئَةِ الأَخِيرِ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ) مِنَ المُرَكَّبِ (بِ+مَصْدَرٍ). وَالسَّبَبُ الَّذِي تَجَلَّى لِلْمَرْءِ هُوَ أَنَّ ثَمَّةَ مَصَادِرَ لَا تَصْلُحُ أَوْ قُلْ إِنِّهَا لَا تَقْوَى لِأَنَّ تَكُونَ وَاصِفَةً لِلهَيْئَةِ فِي المُرَكَّبِ الجَرِيِّ (بِ+مَصْدَرٍ)، أَوْ أَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ مَصَادِرَ أصْلًا لِبَعْضِ الكَلِمَاتِ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تُوظَّفَها لِتَكُونَ مُعَبَّرَةً عَنِ الهَيْئَةِ. فَتَبْدُو بَعْضُ مُرَكَّبَاتِ الهَيْئَةِ الأَتِيَّةِ عَلَى إِيقَاعِ (بِ+مَصْدَرٍ) مَرْفُوضَةً لِعَدَمِ تَحَقُّقِ الشَّرْطِ الاسْتِهْلَاقِيِّ الأَسَاسِيِّ فِيهَا، المُتَمَثِّلِ فِي وُجُوبِ أَنْ يَكُونَ الأِسْمُ المُتَّصِلُ بِالبَاءِ فِي مُرَكَّبِ الهَيْئَةِ (بِ+مَصْدَرٍ) مَصْدَرًا.

فَإِذَا أَدْرَكْنَا هَذَا، أَدْرَكْنَا حَقِيقَةَ رَفْضِنَا التَّرْكِيبَ الأَتِي-مَثَلًا: (*انْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ بِصَارُوخِيَّةٍ)، فَإِنَّ اللُّغَةَ لَا تَعْرِفُ الكَلِمَةَ (صَارُوخِيَّةٍ) إِلاَّ بِوَصْفِهَا صِفَةً لِمُؤَنَّثٍ لَا مَصْدَرًا. وَلَا تُقْتَرَنُ البَاءُ فِي مُرَكَّبِ الهَيْئَةِ إِلاَّ بِالمَصْدَرِ. وَبِمَا أَنَّ العَرَبِيَّةَ لَمْ تُبِحْ هُنَا الإِثْنَانُ بِالبَاءِ مَعَ كَلِمَةٍ مُشْتَقَّةٍ مِنَ الصَّارُوخِ (صَارُوخِيَّةٍ) لِلتَّعْبِيرِ عَنِ هَيْئَةِ انْطِلَاقِ السَّيَّارَةِ، فَقَدْ قَامَ النَّاطِقُ اللُّغَوِيُّ-حَلًّا لِلإِشْكَالِ- بِتَطْوِيرِ مُرَكَّبِ هَيْئَةٍ جَدِيدٍ مِنَ المُرَكَّبِ (بِ+مَصْدَرٍ)، تَسْمُحُ مِنْ خِلَالِهِ اللُّغَةَ بِجَلْبِ كَلِمَةٍ صَحِيحَةٍ الاسْتِغْنَاءِ تَقْبَلُهَا اللُّغَةُ.

فَكَانَ أَنْ أَبْقَى النَّاطِقُ بِالعَرَبِيَّةِ عَلَى البَاءِ-أَوَّلًا، وَأَدْخَلَ كَلِمَةَ (شَكْلٍ)-ثَانِيًا- بِحَيْثُ تَكُونُ مَجْرُورَةً لِلْبَاءِ: (بِشَكْلِ)، وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِصِفَةٍ لِ(شَكْلٍ) تَكُونُ مُشْتَقَّةً مِنَ الكَلِمَةِ المَرْفُوضَةِ نَفْسِهَا: (بِشَكْلِ+صِفَةٍ). فَبَدَلًا مِنَ القَوْلِ المَرْفُوضِ: (*انْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ بِصَارُوخِيَّةٍ)، جَاءَ القَوْلُ المَقْبُولُ: (انْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ بِشَكْلِ صَارُوخِيٍّ). أَرِيدُ أَنْ أَقُولَ: إِنَّ أَكْبَرَ الظَّنِّ أَنَّ العَرَبِيَّةَ مَا اسْتَحْدَثَتْ هَذَا المُرَكَّبَ الجَدِيدَ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ)، بِادئِ الأَمْرِ، إِلاَّ مِنْ أَجْلِ التَّعْبِيرِ عَنِ الهَيْئَةِ حَيْثَمَا لَا يَكُونُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا مُتَاحًا بِ(بِ+مَصْدَرٍ).

أُنْعِمَ نَظْرَكَ فِي كُلِّ رَوْجٍ تَرْكِيبِيٍّ مِمَّا يَلِي:

- حَضَرَ إِلَى الدَّرْسِ بِاعْتِيَادِيَّةٍ. <

حَضَرَ إِلَى الدَّرْسِ بِشَكْلِ اعْتِيَادِيٍّ⁽¹⁾.

(1) مَا يُقَالُ هُنَا فِي حَقِّ "بِشَكْلِ" يَنْطَبِقُ تَمَامًا عَلَى "بِطَرِيقَةٍ"، وَ"بِصُورَةٍ".

- *كَانَ يَجْلِسُ فِي الْمَقْهَى بِيَوْمِيَّةٍ. ->
- كَانَ يَجْلِسُ فِي الْمَقْهَى بِشَكْلِ يَوْمِي.
- *حَصَلَ عَلَى الْفُلُوسِ بِشَرَعِيَّةٍ. ->
- حَصَلَ عَلَى الْفُلُوسِ بِشَكْلِ شَرَعِي.
- *طَلَبْتُ ذَلِكَ بِرَسْمِيَّةٍ. ->
- طَلَبْتُ ذَلِكَ بِشَكْلِ رَسْمِيٍّ.
- *قَالَ هَذَا الْكَلَامَ بِمُبَاشَرَةٍ. ->
- قَالَ هَذَا الْكَلَامَ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ.

تَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَاتِ: (اعْتِيَادِيَّة/يَوْمِيَّة/شَرَعِيَّة/رَسْمِيَّة/مُبَاشَرَةٍ)، الْوَارِدَةَ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِكُلِّ رَوْحٍ تَرْكِيْبِيٍّ، لَا تُشَكِّلُ مَصَادِرَ لِيَصِحَّ مَوْقَعُهَا بَعْدَ الْبَاءِ لِئِدَلَّ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَلَى الْهَيْئَةِ. فَلَمْ يَكُنْ مِنْ سَبِيلٍ سِوَى أَنْ تُسَبِّقَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ اللَّامُصَدْرِيَّةَ بِالْعِبَارَةِ (بِشَكْلِ)، كَمَا تَجَلَّى.

السَّبَبُ الثَّانِي

وَيُحْيِلُ إِلَيَّ أَنَّ اسْتِجْلَابَ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ) لِيُؤَدِّي دَوْرَ الْمُرَكَّبِ الْمَعْبَّرِ عَنِ الْهَيْئَةِ، قَدْ فَتَحَ أَذْهَانَ النَّاطِقِينَ بِالْعَرَبِيَّةِ عَلَى اتِّبَاعِ (بِشَكْلِ) كُلِّ كَلِمَةٍ (أَوْ عِبَارَةٍ) وَاصِفَةٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَأَسْمِ الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ وَغَيْرِهِمَا. فَإِذَا كَانَ خَطَأَ الْقَوْلِ: (*لِلْأَثَاثِ تَأْتِيرٌ طَاغٌ عَلَى الْمَكَانِ إِذَا اخْتِيرَ بِمَدْرُوسٍ)، فَإِنَّ مِنَ الصَّوَابِ الْقَوْلَ: (لِلْأَثَاثِ تَأْتِيرٌ طَاغٌ عَلَى الْمَكَانِ إِذَا اخْتِيرَ بِشَكْلِ مَدْرُوسٍ). وَلِأَجْلِ ذَلِكَ يُرْفَعُ الْمُنْعُ عَنِ التَّرْكِيبِ: (*ارْتَفَعَ الْعَدَدُ بِغَيْرِ مَسْبُوقٍ) بِوَسَاطَةِ (بِشَكْلِ)، لِصِحَّةِ مَجِيءِ (غَيْرِ مَسْبُوقٍ) صِفَةً لِ(شَكْلِ): (ارْتَفَعَ الْعَدَدُ بِشَكْلِ غَيْرِ مَسْبُوقٍ). وَبِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا قِيلَ عِنْدَ مَجِيءِ الصَّفَةِ إِسْنَادًا مَنْفِيًّا: (أَسْعَدَنِي الْفَرَارُ بِشَكْلِ لَا يوصف). تَأْمَلِ الرُّبَاعِيَّاتِ الْآتِيَةَ:

- *تَكَلَّمَ بِمَعْقُولٍ. ->
- تَكَلَّمَ بِشَكْلِ مَعْقُولٍ.
- *تَكَلَّمَ بِغَيْرِ مَعْقُولٍ. ->
- تَكَلَّمَ بِشَكْلِ غَيْرِ مَعْقُولٍ.
- *تَوَقَّفَتْ سَيَّارَتُهُ بِمَتَوَقَّعٍ. ->
- تَوَقَّفَتْ سَيَّارَتُهُ بِشَكْلِ مَتَوَقَّعٍ.
- *تَوَقَّفَتْ سَيَّارَتُهُ بِغَيْرِ مَتَوَقَّعٍ. ->

- تَوَقَّفت سَيَّارَتُهُ بِشَكْلِ عَيْرٍ مُتَوَقَّعٍ.
- *إِشْتَرَكَ فِي الْمُسَابَقَةِ بِقَانُونِيٍّ. <
- إِشْتَرَكَ فِي الْمُسَابَقَةِ بِشَكْلِ قَانُونِيٍّ.
- *إِشْتَرَكَ فِي الْمُسَابَقَةِ بِعَيْرٍ قَانُونِيٍّ. <
- إِشْتَرَكَ فِي الْمُسَابَقَةِ بِشَكْلِ عَيْرٍ قَانُونِيٍّ.
- *قَالَ هَذَا الْكَلَامَ بِمُبَاشَرَةٍ. <
- قَالَ هَذَا الْكَلَامَ بِشَكْلِ مُبَاشَرَةٍ.
- *قَالَ هَذَا الْكَلَامَ بِعَيْرٍ مُبَاشَرَةٍ. <
- قَالَ هَذَا الْكَلَامَ بِشَكْلِ عَيْرٍ مُبَاشَرَةٍ.
- *فَعَلَ هَذَا بِمَقْصُودٍ⁽¹⁾. <
- فَعَلَ هَذَا بِشَكْلِ مَقْصُودٍ.
- *فَعَلَ هَذَا بِعَيْرٍ مَقْصُودٍ⁽²⁾. <
- فَعَلَ هَذَا بِشَكْلِ عَيْرٍ مَقْصُودٍ.
- *طَلَبْتُ ذَلِكَ بِرَسْمِيٍّ. <
- طَلَبْتُ ذَلِكَ بِشَكْلِ رَسْمِيٍّ.
- *طَلَبْتُ ذَلِكَ بِعَيْرٍ رَسْمِيٍّ. <
- طَلَبْتُ ذَلِكَ بِشَكْلِ عَيْرٍ رَسْمِيٍّ.
- وَلَقَدْ وَجَدْتُ، فِي هَذَا السِّيَاقِ، أَنَّ النَّاطِقَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرِ لَمْ يَعُدْ يَسْتَسْبِغُ الْمُنَوَالِيَّةَ (بِ+أَفْعَلِ)، كَمَا فِي: (*تَتَأَقَّلُمُ النِّسَاءُ مَعَ الطَّلَاقِ بِأَفْضَلِ مِنَ الرِّجَالِ)⁽³⁾. وَقَدْ أَفْضَى هَذَا الْأَمْرُ بِالنَّاطِقِ إِلَى أَنْ يُفْحَمَ كَلِمَةَ (شَكْلٍ) بَيْنَ الْبَاءِ وَ(أَفْعَلِ) التَّفْصِيلِ: (تَتَأَقَّلُمُ النِّسَاءُ مَعَ الطَّلَاقِ بِشَكْلِ أَفْضَلِ مِنَ الرِّجَالِ)⁽⁴⁾. قَارَنُ بَيْنَ كُلِّ رَوْجِيْنٍ مِنَ التَّرَاكِيْبِ الْإِتْيَابَةِ:

(1) قَارَنُهُ بِقَوْلِنَا: فَعَلَ هَذَا بِقَصْدٍ.

(2) قَارَنُهُ بِالْقَوْلِ: فَعَلَ هَذَا بِعَيْرٍ قَصْدٍ.

(3) نَعْنِي بِالرَّفْضِ هُنَا نَدْرَةَ اسْتِعْمَالِ (بِ+أَفْعَلِ) فِي نُصُوصِ الْفُصْحَى الْمُعَاصِرَةِ الْمُنطَوِقَةِ وَالْمَكْتُوبَةِ.

(4) مَا يُقَالُ هُنَا أَيْضًا فِي حَقِّ "بِشَكْلِ" يَنْطَبِقُ عَلَى "بِطَرِيقَةٍ"، وَ"بِصُورَةٍ".

- *أدى زهير عمله بأدق مما آداه بلال. <
- أدى زهير عمله بشكل أدق مما آداه بلال.
- *يتعلم الأطفال اللغة بأكثر إبداعاً. <
- يتعلم الأطفال اللغة بشكل أكثر إبداعاً⁽¹⁾.
- *يمكن أن تقود سيارتك بأكثر توفيراً. <
- يمكن أن تقود سيارتك بشكل أكثر توفيراً.
- *يظهر مديرنا هذه الأيام بأكثر شباباً. <
- يظهر مديرنا هذه الأيام بشكل أكثر شباباً.
- *يجب أن نعاملهم بأكثر صرامة. <
- يجب أن نعاملهم بشكل أكثر صرامة.
- *يظن بعض الناس أن الحلاقة تسبب نمو الشعر بأسرع وبأكثر كثافة. <
- يظن بعض الناس أن الحلاقة تسبب نمو الشعر بشكل أسرع وبشكل أكثر كثافة.
- *عليك أن تتعامل معهم بأكثر لباقة. <
- عليك أن تتعامل معهم بشكل أكثر لباقة.
- *بدأ يتعامل مع الموظفين بأكثر مرونة. <
- بدأ يتعامل مع الموظفين بشكل أكثر مرونة.
- *مثلوا في المسرحية بأكثر من رائع. <
- مثلوا في المسرحية بشكل أكثر من رائع.
- *ترجمت النص بأكثر دقة مني. <
- ترجمت النص بشكل أكثر دقة مني.
- *يتم النقر على المفاتيح في هذا الجهاز بأكثر سهولة من ذي قبل. <
- يتم النقر على المفاتيح في هذا الجهاز بشكل أكثر سهولة من ذي قبل.

(1) لا تنتظر بالضرورة "من" بعدها، إذ التكملة مفهومة، وهي على التقدير-مثلاً: "يتعلم الأطفال اللغة بشكل أكثر إبداعاً من البالغين".

أسباب أخرى

أولاً: لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعِيَ أَنْ اسْتَحْدَثَ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ) مُرَكَّبًا لِلهَيْئَةِ فِي العَرَبِيَّةِ قَدْ انْحَصَرَ فِي مَا سَبَقَ بَيَانُهُ. فَقَدْ لَحِظْتُ أَنَّ هُنَاكَ سَبَابًا أُخْرَى لَعَلَّهَا سَاعَدَتْ فِي الدَّفْعِ بِاتِّجَاهِ تَوَلِيدِ مُرَكَّبِ الهَيْئَةِ الأَحْدَثِ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ). مِنْ ذَلِكَ-مَثَلًا- أَنَّ التَّرْكِيبَ، بِاسْتِمَالِهِ عَلَى مُرَكَّبِ المَفْعُولِ المَطْلُوقِ المَوْصُوفِ، يَكُونُ أَكْثَرَ تَقْيِيدًا. وَيَكَلَامٌ أَكْثَرَ تَدْفِيقًا: إِنَّ اخْتِوَاءَ التَّرْكِيبِ عَلَى المَفْعُولِ المَطْلُوقِ المَوْصُوفِ يَجْعَلُهُ-أَيَّ المَطْلُوقِ- مُقَيَّدًا مَحْفُوظَ الرُّثْبَةِ لَيْسَ فِي الوُسْعِ تَحْرِيكُهُ أَمَامًا. فَإِذَا مَا قِيلَ- مَثَلًا:

- قَالَ المُدْرَبُ قَوْلًا أَكْثَرَ تَحْدِيدًا: إِنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ الفَرِيقَ فِي هَذَا الوَقْتِ العَصِيبِ. لَمْ يَكُنْ مُتَقَبِّلًا تَقْدِيمِ المَفْعُولِ المَطْلُوقِ لِحَاجَةِ لَدَى النَّاطِقِ:
 - قَوْلًا أَكْثَرَ تَحْدِيدًا قَالَ المُدْرَبُ: إِنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ الفَرِيقَ فِي هَذَا الوَقْتِ العَصِيبِ. وَلَكِنْ إِنْشَاءَ عِبَارَةٍ (بِشَكْلِ+صِفَةٍ) يَحُلُّ الأَمْرَ، وَيَلْبِي حَاجَةَ لَدَى النَّاطِقِ نَفْسِيَّةً، وَيُكْسِبُ التَّرْكِيبَ حُرِّيَّةً مُسْتَسَاعَةً:
 - قَالَ المُدْرَبُ بِشَكْلِ أَكْثَرَ تَحْدِيدًا: إِنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ الفَرِيقَ فِي هَذَا الوَقْتِ العَصِيبِ.
 - بِشَكْلِ أَكْثَرَ تَحْدِيدًا قَالَ المُدْرَبُ: إِنَّهُ لَنْ يَتْرُكَ الفَرِيقَ فِي هَذَا الوَقْتِ العَصِيبِ.
- ثانيًا: وَقَدْ يَكُونُ مِنْ سَبَابِ ذَلِكَ أَيْضًا، أَنَّ الكَلِمَةَ الوَاصِفَةَ لِلْمَصْدَرِ الَّذِي هُوَ المَفْعُولُ المَطْلُوقُ، قَدْ تَكُونُ مُتَقَاعَةً فِي مَادَّتِهَا مَعَ مَادَّةِ المَصْدَرِ نَفْسِهِ، فَيَعْدُو التَّكْرَارُ مُضَاعَفًا، الأَمْرُ الَّذِي يَزِيدُ مِنْ رَفْضِنَا التَّرْكِيبَ. تَأَمَّلْ:

*تَحْتَاجُ الدَّهُونُ إِلَى كَمِّيَّاتٍ مِنْ سَائِلِ المَرَارَةِ لِإِتْمَامِ هَضْمِهَا إِتْمَامًا تَامًا.

فَعُدِلَ عَنْ هَذَا إِلَى:

تَحْتَاجُ الدَّهُونُ إِلَى كَمِّيَّاتٍ مِنْ سَائِلِ المَرَارَةِ لِإِتْمَامِ هَضْمِهَا بِشَكْلِ تَامٍ.

(بِشَكْلِ يُثِيرُ+مَصْدَر)

يَتَوَرُّ فِي الدَّهْنِ سُؤَالَ مُحَبَّرٍ يَتَعَلَّقُ بِ(بِشَكْلِ) مُتَبَوِّعَةٍ بِصِفَةِ جُمْلِيَّةٍ: (بِشَكْلِ يُثِيرُ الدَّهْشَةَ/ بِشَكْلِ يُثِيرُ الشَّقْفَةَ/ بِشَكْلِ يُثِيرُ السُّخْرِيَّةَ/ بِشَكْلِ يُثِيرُ الأَرْتِيَابَ/ بِشَكْلِ يُثِيرُ الأَشْمَزَارَ/ بِشَكْلِ يُثِيرُ الأَسْتِيَاءَ/...). إِذْ مَا الَّذِي أَجَاءَ العَرَبِيَّةَ إِلَى تَوَلِيدِهَا؟ ذَكَرْتُ مُفْتَتِحَ البَحْثِ أَنَّ الإِثْنَانَ بِالحَالِ أَوْ الهَيْئَةِ إِنَّمَا يَعْني أَتَّصَفُ بِالحَالِ أَوْ الهَيْئَةِ، إِضَافَةً إِلَى أَتَّصَفُ المُسْنَدِ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الحَالِ أَوْ الهَيْئَةِ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ دُونَ مَا فَرَّقَ. فَإِذَا مَا قِيلَ: (رَكِبْتُ السَّيَّارَةَ مُسْرِعًا)، أَوْ قِيلَ: (رَكِبْتُ السَّيَّارَةَ بِسْرَعَةٍ)، فَإِنَّمَا المَعْنَى فِي كِلْتَا الجُمْلَتَيْنِ-فِي التَّحْلِيلِ النِّهَائِيِّ- أَنَّ الرُّكُوبَ قَدْ تَمَّ بِسْرَعَةٍ، وَأَنَّ الرَّاكِبَ بِالصَّرْوَةِ كَانَ مُسْرِعًا. وَمِنْ أَجْلِ هَذَا، إِذَا قِيلَ: (رَقَصَ الشَّابُّ بِاسْتِيَاءٍ)-مَثَلًا-، فَإِنَّ المَفْهُومَ-حَتْمًا- أَنَّ الرَّقْصَ قَدْ تَمَّ وَوَقَعَ بِاسْتِيَاءٍ، وَأَنَّ الرَّاكِبَ كَانَ مُسْتَاءً كَذَلِكَ. وَلَكِنْ مَاذَا يَفْعَلُ

الناطق اللغوي إن أراد أن يُعبر عن استنباء الآخرين من الرقص الذي شاهدوه من الرقص! لا يمكن أن يؤدي التركيب: (*رقص الشاب باستنباء) هذا المعنى، بل هو حينذاك تركيب ملحون يعرضه على المعنى المراد. وقد حلَّ الناطق اللغوي هذا الإشكال وتجاوزَهُ بأن جَلَبَ إلى التركيب (بشكلٍ يُثير...) مُستبدلاً إياه بـ(ب+مصدر)، قائلاً: (رقص الشاب بشكلٍ يُثير الاستنباء).

خاتمة ونتائج

حاول البحث أن يُقدِّم فهماً جديداً للتعدد الواضح في مركبات "الهيئة" و"الحال" في اللغة العربية. ومن أبرز ما توصل إليه في هذه السبيل ما يأتي:

1. دعا البحث إلى ضرورة أن يُفرق بين الهيئة الاسمية، والهيئة الفعلية أو الحديثة. فالأسماء المنصوبة التي تتسلط على الأسماء تُثيرُ هيئتها إبرازاً مؤقتاً، هي "الأحوال". أما "الهيئات"، فهي العناصر اللغوية التي تُبين كيفية وقوع الأفعال أو الأحداث. فإذا كانت الكلمة (مُهتماً) في (طالع زياد الخبر مهتماً) "حالياً"، فإن المركب (باهتمام) في (طالع زياد الخبر باهتمام) إنما هو "هيئة".
2. ذهب البحث إلى أنه ما من فرق دلالي ملموح بين قولينا: (طالع زياد الخبر مهتماً)، و(طالع زياد الخبر باهتمام). إنما مراد الأمر إلى تطور دلالي قد اعتدى التركيب في العربية لأسباب تدق، جهد الباحث في تتبعها ومحاولة الكشف عنها.
3. رجح البحث أن تكون الهيئة الاسمية الوحيدة في اللغة العربية، وهي الحال، أسبق في الظهور اللغوي من الهيئات الفعلية. وقد شكّل ظهور هذه الهيئة الاسمية، أي الحال، المرحلة اللغوية الأولى. وقد عنى هذا أنه أتت على العربية مرحلة قديمة كانت تُكتفي فيها بالتعبير عن هيئة الاسم، لكن ظهرت تالياً الحاجة، في مرحلة لغوية ثانية، إلى أن توجد اللغة هيئة تصف الحدث أو تُفصح عن طريقة وقوعه.
4. استطاع البحث أن يبين سببين من الأسباب التي أفضت بالعربية إلى استحداث الهيئة الفعلية وعدم الاكتفاء بالهيئة الاسمية.
5. حاول البحث أن يُثبت أن مركب "المفعول المطلق الموصوف" هو ثاني الهيئات اللغوية الظاهرة، وأنه في الوقت نفسه أول وسيلة لغوية توصلت بها العربية بغية الإفصاح عن هيئة الأفعال أو الأحداث.
6. زعم البحث أن الناطق بالعربية سعى، في مرحلة من التطور ثالثة، إلى التخلص من التكرار المائل في مركب "المفعول المطلق الموصوف"، وذلك بحذف المفعول المطلق وإخلال صفته محله: (توهل الجامعات طلابها تأهيلاً تربوياً). -> توهل الجامعات طلابها تربوياً).

7. أَكَّدَ الْبَحْثُ أَنَّ لَيْسَتْ كُلُّ صِفَةٍ لِلْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَقُومَ مَقَامَ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ، أَيْ أَنَّ اللَّغَةَ لَمْ تُجْزُ فِي حَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ حَذَفَ الْمَفْعُولَ الْمَطْلُوقَ وَإِحْلَالَ صِفَتِهِ مَحَلَّهُ، كَمَا فِي: (فَتَحَّ مُرَادُ الْبَابِ فُتْحًا هَادِنًا) < *فَتَحَّ مُرَادُ الْبَابِ هَادِنًا). وَهَذَا أَدَّى إِلَى تَدْبِيرِ جَدِيدٍ كَانَ هُوَ الْحَلْفَةُ الرَّابِعَةُ فِي التَّطَوُّرِ اللَّغَوِيِّ لِتَرَكَيبِ الْهَيْئَةِ وَالْحَالِ فِي اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. إِذْ بِسَبَبِ مِنْ هَذَا الرَّفْضِ وَوَلَدَتْ اللَّغَةُ الْهَيْئَةُ الْفِعْلِيَّةُ الْأَحَدَتْ الْمُتَمَثِّلَةَ فِي الْمُرَكَّبِ: (بِ+مَصْدَرٍ): (فَتَحَّ مُرَادُ الْبَابِ يَهْدُوهُ).
8. جَلَى الْبَحْثُ مَرَحَلَةً مِنَ التَّطَوُّرِ خَامِسَةً، ظَهَرَ فِيهَا أَنَّ بَعْضَ الْمَصَادِرِ لَا تَصْلُحُ لِأَنَّ تَأْتِي وَفَاقًا لِمُرَكَّبِ الْهَيْئَةِ الْفِعْلِيَّةِ (بِ+مَصْدَرٍ)، فَتَجَاوَزَتْهُ إِلَى مُرَكَّبِ هَيْئَةٍ فِعْلِيَّةٍ أَحَدَتْ هُوَ: (بِشَكْلِ+صِفَةٍ).

Sources & References

- The Holy Qur'aan.
- Araar, Mahdii As'ad. (2003). *Zaahirat al-Labs fii al-'Arabiyyah: Jadal al-Tawaasul Wa al-Tafaasul*, 1st Edition, Daar Waa'el li-al-Nashr Wa al-Tawzii', Amman-JORDAN.
- Al-'Antaaky, Mohammad, *Al-Muheet fii 'Aswaat al-'Arabiyyah Wa Nahwihaa Wa Sarfihaa*, 3rd Edition, Daar al-Sharq al-'Arabi, Beirut.
- Al-Mawzi' iyy, Mohammad Bin 'Aliyy Bin 'Ibraahiim Bin al-Khatiib, (1993). *Masaabiih al-Maghaanii fii Horoof al-Ma'aanii*, Studied & Verified By: 'aa'id Bin Naafi' Bin Dayf Allah al-Omariyy, 1st Edition, Daar al-Manaar li al-Tab' Wa al-Nashr Wa al-Tawzii', Cairo.
- Al-Muraadiyy, Al-Hasan Bin Qaasim. (1992). *al-Janaa al-Daanii fii Huroof al-Ma'aanii*, Verified By: Fakhr al-Diin Qabaawah Wa Mohammad Nadiim Faadil, 1st Edition, Daar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut.
- Al-Najjar, Latiifah 'Ibraahiim. (2003). *al-Wazaa'ef al-Nahwiyyah Bayn al-Markaziyy Wa al-Haamishiyy*. Journal of the Jordan Academy of Arabic, No. (65), pp. 89-117.
- Al-Zajjaj, Abu 'Ishaaq 'Ibraahiim Bin al-Sariyy Bin Sahl. (1982). *T'raab al-Qur 'aan al-Mansuub 'ilaa Al-Zajjaj*, Verified By:

'Ibrahiim al-'Abyariyy, 2nd Edition, Daar al-Kutub al-'Isламиyyah-Daar al-Kitaab al-Misriyy/Cairo, Daar al-Kitaab al-Lubnaaniyy/Beirut.

- Hasan, 'Abbaas. *al-Nahw al-Waafii ma 'a Rabtihi bi-al-'Asaaliib al-Rafii 'a Wa al-Hayaah al-Lughawiyyah al-Mutajaddidah*, 5th Edition, Daar al-Ma'aaref, Cairo.
- Ibn al-Sarraj, Abu Bakr Mohammad Bin Sahl. (1999). *al-'Osool fii al-Nahw*, Verified by: Abd al-Husain al-Fatly, 4th Edition, Mu'assat al-Resaalah, Beirut.
- Ibn Hishaam, Abu Mohammad Abd Allah al-Ansaariyy, (2000). *Mughnii al-Labiib 'an Kutub al-'A'aariib*, Verified By: Abd al-Latiif Mohammad al-Khatiib. 1st Edition, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.
- Ibn ya'iish, Muwaffaq al-Diin al-Nahwiyy. *Sharh al-Mufasssal*, 'aalam al-Kutub, Beirut.
- Okasha, Omar Yousef. (2003). *Arabic Absent Grammar: Towards A New Description for Speakers of Other Languages*, 1st Edition, al-Mu'assasah al-'Arabiyyah li-al-Diraasaat Wa al-Nashr, Beirut.
- Omar, Ahmad Mukhtaar. (2008). *Mu'jam al-Sawaab al-Lughawiyy*, 1st Edition, 'aalam al-Kutub, Cairo.